القسم الثاني

كما جاء في العهد الجديد

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الحادي عشر

الإسلام والأحمديات التي أعلنتها الملائكة

سجل اثنان من كُتَّاب الأناجيل حادثين غريبين فيما يتعلق بمولد سيدنا عيسى (عليه صلوات الله وسلامه)، **الأول**: سجله كاتب إنجيل متّى في روايته عن رحلة حكماء المجوس برئاسة الملك كاسبار، وحسب الرواية فقد كان يوجههم نجم من بلاد فارس نحو إسطبل في بيت لحم كان يرقد فيه سيدنا عيسى عليه السلام وقت ولادته، إن هذه القصة الخيالية المكونة من عجائب عدة اختلقتها الكنيسة تعد أسطورة مستساغة لديها، والمفترض أن هؤلاء المجوس كانوا ملهمين حتى عرفوا أن الطفل الصغير في بيت لحم كان (إلها وحملاً وملكاً)، ولذلك قدموا له البخور كما يقدمونه للآلهة، وقدموا المُرّ ليدفن معه قرباناً، وقدموا الذهب من أجل خزينته الملكية.

والمفترض أيضاً أن هذه الرحلة الطويلة من بلاد فارس إلى فلسطين قد تمت بسرعة خارقة بينما الطفل لم يزل في الإسطبل (لوقا 2/4-7) وأن المسافرين المجوس كانوا يهتدون بالنجم الذي

obeikandl.com

كان يظهر ويختفي ثم يظهر أخيراً فوق بيت لحم؛ ليقودهم إلى البقعة التي ولد فيها المسيح، ومن الأعاجيب أيضاً ارتجاف سكان القدس وملكها اليهودي هيرودس لدى سماع خبر مولد الملك الجديد الذي لم تُعرف مكان ولادته، ممّا أدى بهيرودس إلى أن يذبح مئات الأطفال حديثي الولادة في بيت لحم وضواحيها على أمل التخلص منه، وأن الوحي نزل على المجوس بعدم العودة إلى هيرودوس، إلى آخر ذلك من الخرافات التي ابتدعتها الكنيسة، ناهيك عن اعتمادِهم على عبارةٍ غامضة غير متماسكة وردت في كتابات النبي ميخا (ميخا 2/5) لحل مشكلة المكان الذي ولد فيه عيسى المسيح. وأخيراً وليس آخراً هنالك المعجزة التي يجري التلميح إليها في هذه القصة والمفترض أنها تحقق نبوءة إرميا (إرميا 15/31) حيث يصورون راشيل ـ زوج يعقوب ـ وهي تنتحب بسبب مذبحة الإفراميين Ephramites في راماح ـ وليس في بيت لحم ـ التي حدثت قبل حوالي سبعمائة عام عندما تم نفي ذرية راشيل إلى بلاد الآشوريين في الوقت الذي كانت هي نفسها متوفية قبل نزول زوجها يعقوب في مصر بزمن طويل.

إن القديس متّى هو الوحيد بين الحواريين والمؤرخين الذي روى هذا الحادث، لم يذكر شيئاً عن عقيدة كاسبار ومنجِّميه بعد زيارتهم للإسطبل في بيت لحم، وإن كانوا آمنوا برسالة عيسى أم لا؟ فلو أنهم آمنوا بها فلا معنى لأن تضطهد فارس النصرانية لمدة

ستة قرون أخرى حتى يجيء الإسلام، وتتحول إليه في القرن السابع الميلادي.

إنني لا أقصد الإنكار التام لقصة زيارة بعض المجوس لمهد عيسى عليه السلام، ولكنني أقصد إظهار رغبة الكنيسة الشديدة في المبالغة بالحوادث البسيطة في حياة عيسى المسيح وإضافة التفاصيل الخارقة لها.

أما الحدث الذي لا يقل عجباً وهو يتعلق بموضوعنا الحالي فقد ورد في الإنجيل الثالث الذي تعتقد الكنيسة أن مؤلفه هو الطبيب لوقا (كولوسي 14/4) الذي رافق القديس بولس في رحلاته التنصيرية، وكان أسيراً معه في روما (2تيموثي 11/4- فيليمون 24... إلخ)، وليس هذا مجال مناقشة تأليف الكتاب، ولكن نكتفي بالقول: إنَّ المؤلف سجل الكثير من حكم وتعاليم المسيح، وقد روى أيضاً قصة الرعاة الذين كانوا يرعون أغنامهم قرب بيت لحم في الليلة التي ولد فيها سيدنا عيسى؛ إذ ظهر أمامهم ملاك لكي يعلن مولد (السيد المخلّص)، ثم ظهر حشد من الملائكة في السماء ينشدون بأصوات عالية الترنيمة الآتية (لوقا 2/1-20):

المجد لله في الأعالي

وعلى الأرض السلام

وفي الناس المسرة (Good will).

(لوقا 14/2)

هذه الترنيمة الملائكية المعروفة بـ(Gloria in Excelsis Deo) التي ترتّل في الكنائس خلال احتفالها بالمراسم المقدسة، ليست لسوء الحظ سوى ترجمة غامضة للنصّ اليوناني الذي لا يمكن الاعتماد عليه أصلاً؛ لأنه لا يتضمن الكلمات الأصلية باللغة التي رتل بها الملائكة التي فهمها الرعاة العبرانيون، ومن البدهي أن الملائكة رتّلت أنشودتها المفرحة بلغة الرعاة، وأن تلك اللغة لم تكن اليونانية بل العبرية العامية أو الآرامية؛ لأنّ تخيل الملائكة ترتّل باليونانية أمام الرعاة اليهود الذين يجهلون تلك اللغة هو مثل تخيل الملائكة فوق جبال كردستان مثلاً تنشد باليابانية أمام بعض الرعاة الأكراد الذين لا يعرفون سوى اللغة الكردية، ومن المهم أن نعلم أن جميع أسماء الله والملائكة والأنبياء والسماوات قد نزلت علينا بإحدى اللغات السامية فقط العبرية والآرامية والعربية لا غير.

إن ظهور الملائكة إلى الرعاة البسطاء في بيت لحم وإعلان مولد النبي العظيم في تلك الليلة إذ سمع الرعاة وحدهم التهليلة الملائكية (هللويا) دون أن يسمعها الأحبار والكتبةScribes المتعجرفون، كل ذلك يعدّ من المعجزات الكثيرة المسجلة في تاريخ شعب إسرائيل، وقد نقول: إنَّ القصة ليست مستغربة؛ إذ يمكن أن يظهر ملاك لأحد الأنبياء ويبلغه رسالة من الله بحضور آخرين دون أن يفهم الآخرون ذلك، والرعاة الطيبون ذوو قلوب سليمة وإيمان صادق، فكانوا أهلاً للتكريم بسماعهم تلك الترانيم، ومن وجهة نظر

دينية ليس هناك ما يدعو للاستغراب أو عدم التصديق لهذا الحدث المدهش، علماً أن كاتب الرواية حريص ودقيق في عباراته، وقد استخدم في إنجيله أسلوباً يونانياً جديداً جداً، وبما أنه كتب كتابه بعد مدة طويلة من موت جميع الحواريين فمن المفترض أنه اطلع على الأناجيل المنسوبة إليهم وراجعها، كما اطلع على أسطورة المجوس، ومع ذلك لم يذكر شيئاً عنها في كتابه، وقد ذكر في النصوص الأربعة الأولى التي بدأ بها إنجيله[1] أن الحواريين الذين دعاهم (شهود العيان وكهنة الكلمة) لم يتركوا شيئاً مكتوباً عن المسيح وتعاليمه، إنما اكتفوا بنقل رسالته وتعاليمه شفهياً إلى أتباعهم، كما ذكر بوضوح أن إنجيله استند إلى القصص التي سمعها من الأشخاص الذين سمعوها من الحواريين وغيرهم ممن كانوا شهود عيان لتلك الأحداث، وأنه تفحص مصادره بعناية، واختار منها فقط ما رآه جديراً بالثقة، والواضح من هذا الكلام أن لوقا لم يدَّعِ نزول وحي عليه، ولم ينسب لإنجيله أي علاقة بالوحي، كلّ ذلك مما يقنع أي قارئ محايد أن ما يسمى بالأناجيل الأربعة المعتمدة Canonical gospels لا تتسم بالخصائص الضرورية التي لا بد منها في أي كتاب مقدس يزعم بأنه وحي أو تنزيل إلهي، فأين هو الإنجيل الحقيقي إذن؟ وهل من الممكن أن عيسى ورسله لم يتركوا لنا الإنجيل الحقيقي باللغة التي نزل بها؟ وإذا كان الجواب

(1) يُنصح القراء بأن يقرؤوا مقدمة إنجيل لوقا بكل عناية. (المؤلف).

obeikandl.com

على ذلك بالنفي فإننا نسأل: لماذا لم يكتب هؤلاء الحواريون اليهود أناجيلهم بلغتهم الأم؟ ولماذا كتبوا جميعاً باليونانية؟ وأين تعلم الصياد شمعون كيفا (سمعان الصفا أي: بطرس) ويوحنا (جون) ويعقوب (جيمس) والجابي متّى، أين تعلم كل هؤلاء اللغة اليونانية من أجل كتابة سلسلة من الكتب المقدسة؟ وإذا ما قال أحدهم: إنَّ الروح القدس علّمهم فإنه يعرّض نفسه للسخرية، فما هو المبرر؟ وما هي الحكمة من نزول الوحي باللغة العبرية أوالآرامية على يهودي من الناصرة ــ وهو عيسى عليه السلام ــ ثم ضياع هذا الوحي، ثم تعليم بعض الحواريين وغيرهم من اليهود اللغة اليونانية، لكي يكتب كل منهم باليونانية ما سمعه بعضهم عن المسيح؟!

وإذا قيل لنا: إنَّ الأناجيل والرسائل الإنجيلية كتبت من أجل فائدة اليهود المشردين الذين كانوا يعرفون اليونانية فإننا نسأل: ما الفائدة التي جناها اليهود المشردون من العهد الجديد؟ ولماذا لم تُعدّ نسخ لأجل يهود فلسطين بلغتهم الخاصة علماً أن القدس كانت مركزاً للدين الجديد وأن جيمس (يعقوب) (الأخ المزعوم لعيسى) (سفر غلاطية 19/1) كان رئيس الكنيسة ومقيماً في القدس (أعمال الرسل 15)، (سفر غلاطية 11/2-15)؟

إنه من المستحيل العثور على واحد من الوحي المنزل على عيسى المسيح بلغته الأصلية، ولذا فإن مجمع نيقية يتحمّل إلى الأبد مسؤولية جريمة ضياع الإنجيل الأصلي باللغة الآرامية، وهي

خسارة لا تعوّض، فالترجمة مهما كانت أمينة لا يمكن أن تحتفظ بالدقة والمعنى الذي تحتويه الكلمات والتعابير الأصلية، وكل نسخة مترجمة عرضة للمناقشة والنقد.

أضف إلى ذلك أن الأناجيل الأربعة المعتمدة لم تصل حتى إلى درجة الترجمة عن الأصل؛ إذ إنّ النسخة اليونانية هي أقدم ما لدينا، وقد تعرضت منذ البداية إلى تحريف وتشويه شديدين.

والآن نعود إلى كتاب لوقا وبالذات إلى الأنشودة الملائكية التي لا شك في أن الملائكة أنشدتها بلغة سليمة ـ عبرية أو آرامية ـ لكنها كتبت بترجمة يونانية.

ومن الطبيعي أن نحاول كشف الكلمات الأصلية التي أنشدت بها الملائكة مثلاً: ما هي الكلمة السامية الأصلية التي جعلوها باليونانية (Eudokia)وبالإنجليزية (Good will) أي: (النية الحسنة) وبالعربية (المسرَّة)؟

إن الترنيمة مؤلفة من ثلاث فقرات:

1 – موضوع الفقرة الأولى هو (الله) Allaha بالآرامية، وقد ترجم إلى Theos باليونانية.

2 – وموضوع الفقرة الثانية هو (السلام) ـ شلاما ـ بالآرامية وترجمت إلى اليونانية بكلمة Eiriny.

3 – وموضوع الفقرة الثالثة (المسرَّة) Eudokia باليونانية وترجمت

إلى اللاتينية Bona Voluntas الكاثوليكية، وإلى الآرامية Sobhra Tabha (وتلفظ أحياناً Sovra Tava) في الترجمة الآرامية ـ باللهجة السريانية ـ المسماة (بشيتا Peshitta).

وقد عجزت الترجمات اللاتينية والآرامية وجميع التراجم الأخرى التي تلتها عن نقل المعنى الدقيق لكلمتي أيريني ويودوكيا، وبالتالي ظلت الفقرتان الثانية والثالثة من الأنشودة دون معنى.

واستناداً إلى تفسير الكنائس المسيحية لهذه الأنشودة فإن إيمان الفرد بألوهية عيسى المسيح والتصديق بافتدائه الناس من الخطيئة وبالتالي من نار جهنم بموته على الصليب واستمرار اتصال المرء بالروح القدس يجلب (السلام) للقلب، ويجعل المؤمنين يحملون (النية الحسنة) تجاه بعضهم بعضاً بالإضافة إلى الإحسان والمحبة المتبادلة، لكن الكنائس عن حكمة متعددة لا تتوقف عند هذا التفسير؛ لأنه لا يوجد بينها ولا بين أتباعها سلام ولا اتفاق ولا وفاق ولا نية حسنة ولا حب متبادل، ولذلك تختلف الكنائس عن بعضها بعضاً في استكمال التفسير، وتحاول افتعال وسائل أخرى للتوصل إلى هذا (السلام) و(النية الحسنة)، فمثلاً يُصر الطقوسيون Sacramentarians على الاعتقاد بالطقوس السبعة وبتعاليم عديدة لا يمكن فهمها، وليس لها علاقة من قريب أو من بعيد بعقيدة عيسى، فيقولون: إن الكنيسة بعد أن تطهرت بدم الفادي من خلال مياه المعمودية، التي تقدست بصورة غامضة،

أصبحت عروس الحمَل وجسده، أي: إنَّ الكنيسة نفسها تحولت إلى لحم العريس ودمه الحقيقيين، وأصبحت جسم الحَمَل، وهي أيضاً تتغذى من جسده بخبز ونبيذ مقدسين بطريقة غير مفهومة، والعروس ـ الكنيسة ـ متفانية بشكل خاص تجاه (القلوب المقدسة) لعيسى ومريم والقديس يوسف والمراحل الأربع عشرة للصلب، وتجاه تماثيل مئاتٍ عديدة من القديسين والشهداء وآلاف العظام والبقايا الحقيقية أو المزيفة لهؤلاء، ناهيك عن عبادة الفطيرة المقدسة كما يُعبد الله تعالى، كل هذه الطقوس وكل هذا التعقيد وما زال السلام بعيداً، وفوق كل ذلك يجب الاعتراف بجميع الخطايا صغيرها وكبيرها أمام الكاهن، ذلك أن الغفران الذي يحصل عليه الخاطئ من «الأب الروحي» هو الذي يأتي بـ(السلام) والطمأنينة إلى القلب ويملؤه بـ(النية الحسنة: المسرَّة)!!

ويحاول النصارى أيضاً الحصول على (السلام) الداخلي عن طريق الصلاة لثلاثة آلهة كلّ على حدة: أحياناً لعيسى، وأحياناً للروح القدس، وأحياناً للأب، ثم يعتقدون بعد ذلك أنهم مملوؤون بالروح القدس، وأنهم في حالة سلام، ولكنني أؤكد للقارئ أن هؤلاء النصارى «التائبين» الذين يتظاهرون بأنهم حصلوا على (السلام) وعلى (النية الحسنة: المسرَّة) تجاه جيرانهم هم في الحقيقة شديدو التعصب عديمو التسامح، وسواء أكان المسيحي ملتزماً أم كان غير ملتزم فإنه عندما يخرج من الكنيسة بعد أن يشارك في

«العشاء الرباني» الذي يسمونه «القربان المقدس» يصبح متعصباً ضيق الأفق حتى إنه يفضل لقاء كلب على لقاء مسلم أو يهودي؛ لأنهما لا يؤمنان بالثالوث وبالعشاء الرباني، وقد عرفت ذلك؛ لأنني كنت أحمل المشاعر نفسها عندما كنت قسيساً كاثوليكياً؛ إذ كنت أعتقد أنني روحاني منزه عن الأخطاء، وكانت كراهيتي تزداد للهراطقة المزعومين من غير المؤمنين بالثالوث.

وعندما يتحمس النصارى ولا سيما قساوستهم في صلواتهم وطقوسهم وممارستهم فإنهم يصبحون عدوانيين تجاه خصومهم الدينيين، والمعروف أن جميع القديسين النصارى بعد مجمع نيقية كانوا طغاة في كتاباتهم ومواعظهم وأعمالهم ضد مخالفيهم، وأن محاكم التفتيش الرومانية هي الشاهد الخالد على هذا الطغيان وعلى عدم تحقق ترنيمة (على الأرض السلام وفي الناس المسرَّة).

ومن الواضح أنَّ السلام الحقيقي لا يتحقق بالطقوس المصطنعة ولكن بثلاث وسائل فقط:

الأولى : الاعتقاد الجازم بوحدانية الله المطلقة.
والثانية : الخضوع الكامل والاستسلام لمشيئته المقدسة.
والثالثة: أن تكون آيات الله وإبداعه هي محور التأمل والتفكير باستمرار.

فمن يحقق هذه الوسائل الثلاث فهو مسلم حقيقي وعملي، والسلام الذي يحرزه عن طريقها يكون سلاماً حقيقياً غير

مصطنع، فيصبح متسامحاً أميناً رحيماً، ولكن في الوقت نفسه يكون مستعداً للدفاع عن دين الله.

على أن الملائكة بكل تأكيد لم تنشد تكريماً للسلام الفردي الذي يحصل عليه عدد محدود من عباد الله، كما أنها لم تقصد سلاماً وهمياً بمعنى نزع السلاح من الدول أو إيقاف الحروب والأعمال العدوانية بين الشعوب، ولم تقصد سلاماً اجتماعياً أو سياسياً مقتصراً على شعب إسرائيل فقط؛ لأن تاريخه في العشرين قرناً الأخيرة يدل على العكس من ذلك تماماً، لذلك نحن مضطرون تجاه الحقائق التاريخية من جهة، وأهمية المناسبة والمصدر الذي جاء منه هذا الإعلان من جهة أخرى - إلى الاستنتاج أن هذا السلام على الأرض لم يكن سوى تأسيس مملكة الله على الأرض، وهو أمر قد تحقق، ألا وهو الإسلام، ذلك أن كلمة Eiriny اليونانية مرادفة للكلمات السامية (شالوم) في العبرية و(شلاما) في الآرامية و(إسلام) في العربية، هذا كل ما في الأمر.

وإن مجرد ذكر (الحشود السماوية الكثيرة) يعطي للأنشودة طابع الانتصار والتبشير بقرب نشوء مملكة الله على الأرض، تلك المملكة التي كان أعظم روادها الطفل الحديث الولادة في بيت لحم.

وقد سبق أن شرحنا أن السلام بمعناه العملي الحسي يدل على دين سليم ونافع على عكس الدين الشرير السيئ المؤذي المدمر المؤدي إلى البؤس والهلاك، وبهذا المعنى فإن الله تعالى في رسالته

obeikandl.com

إلى قورش من خلال نبوءة إشيعا استعمل كلمة (شالوم) كمرادف للخير (عكس الشر) (سفر إشعيا 7/45)، هذا هو بالضبط التفسير الحرفي واللغوي العملي لكلمة إسلام كدين صحيح كفيل بإقامة مملكة ربانية قوية على الأرض، لها شرائعها وتوجيهاتها الدائمة الصالحة التي يتضمنها القرآن الكريم.

إن الإسلام يعني حرفياً (صنع السلام)، وإن أي تفسير آخر أو سلام خيالي أمر غير وارد بالمعنى الذي وردت به كلمة Eiriny في تلك الأنشودة الملائكية، وقد قصد سيدنا المسيح هذا المعنى الإسلامي بالضبط عندما ألقى موعظته البليغة على الجبل: (طوبى للمسلمين ـ أي: صانعي السلام ـ لأنهم يُدعون أبناء الله) (متّى 9/5).

وإن السلام الوهمي هو ما رفضه عيسى المسيح عندما قال: (لا تظنوا أنني جئت لإقامة السلام على الأرض، إذ لم آتِ لوضع السلام، بل لإقامة السيف) (متّى 34/10)، أو كما قال: (جئت لأشعل النار في الأرض، أتظنون أنني جئت لأعطي سلاماً على الأرض؟ أقول لكم: لا، بل انقساماً...) (لوقا 51،49/12).

وما لم تفهم كلمة Eiriny على أنها دين الإسلام، فإن هذه الأقوال الخطيرة لسيدنا عيسى تبدو لغزاً يحمل في ثناياه التناقض والتشويه لرسالته الصحيحة.

obeikandl.com

الفصل الثاني عشر

يودوكيا Eudokia تعني أحمد (لوقا (14/2))

لو كان هناك مخطوطة أو مخطوطتان على الأقل للقديس لوقا باللغة العبرية فإنه قد يمكن إعادة ترجمة إنجيله إلى اللغة العربية بصعوبة أقل نسبياً مما لو لم يكن لدينا أيٌّ من مخطوطات لوقا العبرية، ولكن هذا الافتراض غير متحقق؛ فقد ضاعت جميع الكتابات القديمة (بلغة المسيح) التي ترجم منها النشيد الملائكي إلى اليونانية، كما أنه لم يصلنا عن لوقا أي كتاب بلغة سامية، عبرية أو آرامية، ولمزيد من الإيضاح ولتمكين القارئ من تقدير أهمية هذه النقطة فإنني على سبيل المثال أتحدى أعظم علماء الأدب الإنكليزي أو الفرنسي أن يعيدوا ترجمة النص الفرنسي لمسرحيات شكسبير إلى الأصل الإنكليزي دون الرجوع إلى النص الإنجليزي الأصلي بحيث يعيدونَ جمال وتناسق ودقة النص الأصلي.

لقد كتب الفيلسوف المسلم الكبير ابن سينا مؤلفاته باللغة العربية، وأعيدت بعد ذلك ترجمة بعض كتاباته من اللاتينية إلى العربية؛ لأن الأصول العربية فُقدت، فهل كانت النصوص العربية

obeikandi.com

المترجمة مطابقة لتلك التي كتبها ابن سينا بنفسه؟ والجواب بالنفي طبعاً.

تحدثنا في الفصل السابق عن معنى كلمة Eiriny اليونانية، ووجدنا أن الكلمة التي تقابلها في العبرية هي كلمة (شالوم) علماً أن الكلمتين متطابقتان تماماً في نصوص الترجمتين:

1 – السبعينية[1] Septuaging (اليونانية).

2 – والترجمة العبرية للعهد القديم.

ولكن الكلمة اليونانية المركبة (يودوكيا) – على ما أعلم – لم ترد في الترجمة السبعينية، ومن الصعب جداً إيجاد تعبير يماثلها أو يرادفها في الأصل السامي، أضف إلى ذلك أن أناجيل متّى ومرقص ويوحنا وبرنابا لم تذكر هذه الأنشودة الملائكية، ولم يرد ذكرها أيضاً في أي من رسالات Epistles العهد الجديد.

ومن أجل اكتشاف الكلمة السامية الأصلية التي سمعها الرعاة والتي صاغها النص اليوناني لإنجيل لوقا في كلمة (يودوكيا) فإنه يجب متابعة جذورها اليونانية، ولكن قبل ذلك سوف نستعرض تراجم الكتاب المقدس المليئة بالأخطاء التي حجبت المعنى الصحيح لكلمة (يودوكيا)، وأخفت منحاها التنبؤي عن أحمد أو محمد.

(1) السبعينية هي الترجمة اليونانية للعهد القديم، وسميت كذلك نسبة إلى اثنين وسبعين عالماً يهودياً (يفترض أن يكونوا ستة من كل سبط من الأسباط الاثني عشر) قاموا بترجمته إلى اليونانية في الإسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد.

obeikandl.com

هنالك نصان رئيسان قديمان للعهد الجديد منقولان عن النسخة اليونانية، الأول باللغة السريانية (الآرامية)[1] ويسمى البشيتا Peshitta، والثاني باللغة اللاتينية، ويسمى فالجيت Vul-gate، وكلاهما يحملان عنوان Simplex بمعنى البسيط، وهو معنى كلمتي بشيتا وفالجيت، وقد ظهر كثير من المعلومات الحديثة حول هذين النصين الرئيسين مما يسبب حرجاً لأعظم اللاهوتيين والمؤرخين النصارى، ويكفي أن نذكر الآن أن النسخة الآرامية المسماة بشيتا Peshitta هي أقدم من الترجمة اللاتينيةVulgate للكتاب المقدس، ومن المعروف أنه خلال القرون الأربعة الأولى بعد المسيح لم يكن لدى كنيسة روما كتب مقدسة ولا طقوس دينية باللغة اللاتينية، وإنما باللغة اليونانية فقط، كما أنه قبل المجمع المسكوني المنعقد في نيقية سنة 325م لم يكن قد تم تجميع الأسفار التي تكوّن منها كتاب العهد الجديد، وبالأحرى لم يكن هناك وجود للعهد الجديد، بل كان هناك كثير من الأناجيلgospels والرسائل epistles التي تحمل أسماء مختلفة لتلامذة وصحابة عيسى والتي عدّت كتباً مقدسة من قبل العديد من المجتمعات المسيحية آنذاك، لكن المجمع المسكوني في نيقية رفضها عادّاً إياها غير شرعية.

(1) إن ترجمة البشيتا Peshitta لم تستعمل مطلقاً كلمات Syria وسرياني Syriac، بل كانت تستعمل كلمتي آرام Aram وآرامي Aramaic؛ ذلك أن اللغة السريانية تعدّ لهجة من اللهجات الآرامية التي كانت منتشرة في منطقة الرها.

obeikandl.com

ولما كانت الرها Edessa (الواقعة في جنوب شرق آسيا الصغرى) هي عاصمة اللغة السريانية ومقرها التعليمي، فقد كانت كتب العهد الجديد تترجم من اليونانية إلى السريانية في الرها ـ وليس في أنطاكيا ـ بعد انعقاد المجمع الكنسي المشؤوم في نيقية.

والواضح من دراسة الأدب والتاريخ المسيحي القديم أن الحواريين وأوائل المبشرين بالإنجيل كانوا من اليهود الذين تكلموا الآرامية أو السريانية، ومن المؤكد أن النصارى الأوائل كانوا يؤدون صلواتهم وطقوسهم باللغة الآرامية؛ لأنها كانت اللغة الدارجة التي تحدث بها اليهود والسريان والفينيقيون والكلدان والآشور، وأن الأناجيل المعتمدة والرسائل وكتب الصلاة والطقوس الدينية كانت في الأصل مكتوبة باللغة الآرامية (السريانية) [1] حتى إنَّ الأرمن ـ قبل اختراع الألف باء الأرمنية في القرن الخامس ـ كانوا يستعملون الحروف السريانية.

غير أن الذين دخلوا النصرانية في وقت متأخر من غير الساميين وغير اليهود كانوا يقرؤون العهد القديم باللغة اليونانية (الترجمة السبعينية)، كما أن الفلاسفة وكهنة الأساطير اليونانية (بعد تحولهم إلى النصرانية) لم يجدوا صعوبة في إنتاج (عهد

(1) انبثقت اللغة السريانية عن الآرامية، وكلتاهما مكونتان من الأبجدية نفسها، وهي 22 حرفاً، وعادة ما يطلق اسم اللغة السريانية على اللهجة الآرامية التي كانت دارجة في الرها وما حولها.

obeikandl.com

جديد) باليونانية يستكمل العهد القديم خاصة أن النسخة السبعينية من العهد القديم كانت أمامهم.

والنتيجة أن إنجيل المسيح قد تحول ليصبح مصدراً لاتجاهين فكريين؛ أحدهما سامي، والآخر إغريقي، ثم استطاع الفكر المُشرك الإغريقي أن يتغلب على العقيدة التوحيدية السامية بمساعدة قسطنطين الكبير أعتى وأطغى الأباطرة الإغريق ـ اللاتين، وبمساعدة أشد القساوسة تعصباً وتعسفاً من ذوي عقيدة التثليث في بيزنطة وروما.

يضاف إلى ذلك مشكلات وحدة العقيدة والمذهب والنص المُنَزَّل، ذلك أنه لمدة أكثر من ثلاثة قرون لم يكن لدى الكنيسة أي (عهد جديد) كالذي نراه في صورته وشكله الحاليين، ولم تكن أي كنيسة من الكنائس السامية أو الإغريقية أو كنائس أنطاكية أو الرها أو بيزنطة أو روما تملك جميع أسفار العهد الجديد، بل لم تكن تملك حتى الأناجيل الأربعة قبل انعقاد مجمع نيقية، وإني لأستغرب كيف كانت عقيدة أولئك النصارى الذين لم يكن في حوزتهم غير إنجيل لوقا أو إنجيل مرقس، أو إنجيل يوحنا، فيما يتعلق بتعاليم القربان المقدس، أو المعمدانية، أو التثليث، أو الولادة المعجزة لسيدنا المسيح، وغير ذلك من المعتقدات والمبادئ.

إن نسخة (البشيتا) السريانية لا تحتوي على ما يسمى (بالكلمات الأساسية أو التنظيمية) الموجودة الآن في إنجيل لوقا

(17/22–19)، كما أن الجمل الاثني عشرة الأخيرة من الفصل السادس عشر من إنجيل مرقس لم تكن موجودة في المخطوطات اليونانية القديمة، وإن ما يدعى (بصلاة الرب) (متّى 9/6، ولوقا 2/11) ليست معروفة لدى مؤلفي الإنجيل الثاني (مرقس) والرابع (يوحنا)، وفي الحقيقة إن كثيراً من التعاليم المهمة التي توجد في أحد الأناجيل لم تكن معروفة لدى الكنيسة التي لم تكن تملك ذلك الإنجيل، وبالتالي لم تتحقق الوحدة في طرق العبادة وفي الانضباط والسلطة والعقيدة وفي الوصايا والقوانين لدى الكنيسة الأولى ناهيك عن أن الوحدة في هذه الأمور لم تتحقق حتى أيامنا هذه.

والخلاصة أن الكتب اليهودية المقدسة كانت بمثابة الإنجيل للنصارى في عهد الحواريين بالإضافة إلى الإنجيل المتضمن الوحي الحقيقي الذي أنزل على سيدنا عيسى والذي كان جوهره مطابقاً لأنشودة الملائكة عن الإسلام والرسول الملقب بأحمد (محمد).

إن الرسالة المحددة التي بعث بها المسيح كانت هداية اليهود وإعادتهم عن ضلالهم وانحرافهم وتصحيح اعتقادهم الخاطئ عن مسيح منحدر من سلالة داود، ولإقناعهم بأن ملكوت الله على الأرض الذي كانوا ينتظرون تحقيقه لم يكن ليتحقق بوساطة مخلّص منحدر من سلالة داود، ولكن من نسل إسماعيل واسمه أحمد، وهو الاسم الصحيح المطابق للاسم الذي نصّت عليه الأناجيل اليونانية

بصيغة يودوكسوس Eudoxox وبركليتوس Periqlytos (وليس باراكليت Paraclete كما شوهته الكنائس).

غير أن موضوع البيركليتوس Periqlytos سوف يكون واحداً من أكثر الأبحاث أهمية في سلسلة هذه المقالات (الفصل 18)، ومهما تكن أهمية الباراكليت Paraclete الذي ابتكرته الكنائس (انظر يوحنا 16/14، 26) و(26/15) و(7/16) وأهمية الأصل الصحيح لتلك الكلمة، فإنَّ الحقيقة تشهد أن عيسى خلّف بعده ديانة ناقصة من المفترض أن تكتمل بعده عن طريق من أطلق عليه يوحنا (أوبي سوبرا) ووصفه (لوقا 49/24) بـ«الروح»، هذه «الروح» ليست ولم تكن إلهاً ولا ثالث ثلاثة؛ لكنها روح «أحمد» الطاهرة التي وجدت مع أرواح الأنبياء الآخرين في الجنة (إنجيل برنابا).

فإذا كانت روح المسيح بشهادة الحواري يوحنا (يوحنا 5/17) قد وجدت قبل أن يُخلق رجلاً فإن روح محمد قد وجدت أيضاً قبل خلقه رجلاً بشهادة حواري آخر هوبرنابا، وسوف أبحث هذه النقطة في الحلقة التالية، غير أنني الآن أوجه السؤال الآتي إلى جميع الكنائس المسيحية في آسيا وإفريقيا وأوربا قبل انعقاد المجمع المسكوني في نيقية بآسيا الصغرى عام 325م؟ فإذا كان الجواب نعم فالرجاء إبراز براهينكم، وإذا كان الجواب بالنفي عندئذ يجب الاعتراف بأن قسماً كبيراً من النصارى لم يكن يعرف شيئاً عن الباراكليت Paraclete المذكور في الإنجيل الرابع، فالباراكليت كلمة

مبهمة لا تعني (المعزّي) ولا (الوسيط) ولا أي شيء آخر، كل ذلك يشكل اتهامات خطيرة جداً ضد الكنيسة.

ونعود إلى الموضوع، إن (البشيتا) ترجمت الكلمة اليونانية (يودوكيا) التي يلفظها اليونانيون (إيفدوكيا) إلى (سوبرا تابا) ـ وتلفظ سوفرا تافا ـ، وهي تعني (الأمل الطيب) أو (التوقع الطيب) في حين أن الترجمة اللاتينية Vulgate ترجمت (يودوكيا) إلى (بونافولانتاس) Bona Voluntas أي: (النية الحسنة).

ومع أن الترجمتين لهما أثر بسيط جداً من الصحة إلا أن ذلك لا يبرر ترجمتهما إلى كل من السريانية واللاتينية على هذا النحو، وإنني أتحدى جميع علماء اليونان أن ينقضوا قولي: إن مترجمي النصين السرياني واللاتيني قد ارتكبوا غلطة هائلة في تفسير (يودوكيا)، وأنا لا أتهم المترجمين بأنهم حرفوا هذا التعبير اليوناني عمداً؛ فمن المحتمل أنهم لم يدركوا المعنى التنبؤي الصحيح للكلمة السامية الأصلية التي اشتقت منها كلمة (يودوكيا) اليونانية.

إن المعنى الصحيح والحرفي المطابق لعبارة (الأمل الطيب) باللغة اليونانية ليس يودوكيا، بل هو Euelpis أو Euelpistia وهي تلفظ (إيفلبستيا)، أما التعبير الدقيق والصحيح المطابق للتعبير اللاتيني (بونا فولانتاس) أو (النية الحسنة أو الطيبة) باللسان اليوناني فهو بالتأكيد ليس (يوديكيا)، ولكن (يوثيليما) Euthelyma، وإن الشرح القاطع هو من الوضوح بحيث يكفي لتقريع كهنة الفاتيكان

وكانتوبوري الذين يرتلون أنشودة الملائكة Gloria in Excelsis في صلواتهم.

1- الأصل اللغوي لكلمة يوديكيا Eudokia:

عندما نبحث عن المعنى الحقيقي لكلمة يودوكيا Eudokia نرى أن مقطع (Eu) الذي يسبقها معناه: (جديد، حسن، أكثر، والأكثر) كما هو في يودوكيميوس Eudokimo أي: المحترم، المقبول، المحبوب، وكذلك صاحب المجد، وهنالك كلمة يودوكيموس Eudokimos التي تعني عظيم الاحترام، ذائع الصيت والمجد، وكلمة يودوكسوس Eudoxos التي تعني ذا الشهرة الواسعة، وكلمة يودوكسيا Eudoxia ومعناها مشهور ومعروف. أما مقطع دوكسا Doxa المستعمل في الأسماء المركبة مثل: (Doxology, Orthodox) فهو مشتق من الفعل دوكيوDokeo، وإن كل من يدرس الأدب الإنكليزي يعرف أن كلمة دوكسا Doxa تعني المجد، الشرف، الشهرة، كما أن هناك تعابير عديدة في الأدب الكلاسيكي الإغريقي تستعمل كلمة دوكسا Doxa لتشير إلى المجد، مثلاً:-Peri doxis makhe) (shaiتعني (أن يحارب من أجل المجد). ومع أنني على علم بأن كلمة (Doxa- دوكسا) تستخدم في أحيان نادرة للتعبير عن: أ) الرأي أو المعتقد. ب) المبدأ والمذهب. جـ) التوقع أو الأمل، لكن معناها العام هو (المجد)، وفي الحقيقة إن القسم الأول من أنشودة الملائكة يبدأ بـ «دوكسا (المجد) لله في الأعالي».

إن القاموس اليوناني ـ الفرنسي الذي نشر في باريس R. C. Alexandre عام 1846 يعطي كلمة يودوكيا Eudokia معنى (لطيف، حسن، ودمث) كما يقدم المؤلف كلمة دوكيو Dokeo على أنها أصل كلمة doxa دوكسا بمختلف معانيها التي ذكرت أعلاه، وبينما أجمع أساتذة اليونان في القسطنطينة الذين تعرفتُ على عدد كبير منهم أنهم يفهمون من كلمة يودوكيا Edokia معنى (السرور، المحبة، الرضى، والرغبة) إلا أنهم يقولون أيضاً: إنَّ معناها الأصلي هو (الشهرة، المعرفة، الشرف).

2- الأصل اللغوي للكلمات العبرية (محمد) و(حِمْده) ومعانيها:

إن السبيل الوحيد لفهم الكتاب المقدس هو دراسته من وجهة النظر الإسلامية، عندئذ فقط يمكن فهم الوحي الإلهي، وعندئذ فقط يمكن الكشف عن الزيف والخداع والتحريف في أوضح مظاهرها، ومن ثم التخلص منها، ومن وجهة النظر هذه فإنني أرى في الكلمة اليونانية يودوكيا Edokia اتفاقاً في معناها الصحيح والحرفي مع الكلمات العبرية (مَحْمَدْ، مَحَمُد، حِمْدَه، حِمِدْ) التي تستعمل بصورة متكررة في العهد القديم.

أ - (حَمَدْ): يتألف هذا الفعل من الحروف الساكنة السامية (ح م د) وحيثما جاءت هذه الحروف في الكتابات المقدسة اليهودية فإنها تعني (يحب، يشتاق، يرغب) هذا هو بالضبط معنى الفعل حَمَدْ في المخطوطات العبرية، وقد ورد في

إحدى الوصايا العشر من التوراة ما يأتي: (لو تحمد إش رايخه) أي: (لا تشتهِ زوج جارك) (سفر الخروج 17/20).

ب- حِمَدْ بالمذكر، وحِمْدَه بالمؤنث يدلان على الرغبة، الرضى، البهجة، التلهف، والجمال (حجي 7/2 وإرميا 34/25 إلخ).

جـ- مَحْمَدْ، مَحَمُدْ (مرثي إرميا 1/7،10،10) و(4/2): هاتان الصيغتان مشتقتان من الفعل حَمَدْ ومعناها: (المرغوب فيه جداً، البهيج، الرائع، اللطيف، الجذاب، القيّم، المحبوب).

وليس هناك ذرة من الشك في أن الصيغة العربية (مُحَمّدْ) والعبرية (مَحْمَدْ) و(مَحَمُدْ) كلها مشتقة من الأصل والجذر ذاته على الرغم من الفروق البسيطة في التشكيل، وقد أوردت معاني الصيغ العبرية كما فهمها اليهود ومؤلفو المعاجم.

د - نلاحظ إذن أن الكلمة اليونانية يودوكيا تعطي حرفياً معنى الاسم العبري (حِمْدَه) يودوكسوس Eudoxos وهي بمعنى الشيء الذي يُتاق إليه والمُتطلّع إليه واللطيف والبهيج والنفيس والمحبوب والمحترم.

3 - إنها معجزة فريدة في تاريخ الأديان أن يطلق اسم مُحَمّد لأول مرة من بين جميع البشر على نجل عبد الله وآمنة.

ولا يمكن أن تكون هناك حيلة أو زيف أو تزوير في ذلك؛ لأن والديه وأقرباءه كانوا وثنيين لم يعلموا شيئاً عن التنبؤات في الكتب

obeikandl.com

العبرية والمسيحية عن النبي العظيم المقدّر له أن يأتي لكي يعيد ويقيم دين الإسلام، وإن اختيار عبد الله وآمنة لاسم (محمد) أو (أحمد) لا يمكن تفسيره بأنه كان مصادفة أو حدثاً عارضاً، لقد كان الأمر بلا ريب إعجازاً يتعلق بالإلهام الإلهي والخطة الإلهية.

إن الاسم المبني للمجهول للفعل (حُمِّدَ) في العربية هو (مُحَمَّدَ)، ويقابل ذلك في العبرية (مَحْمُدَ)، وليس هنالك أدنى شك في التطابق والتشابه بين الصيغتين.

لقد عرضت بكل أمانة معنى الصيغ العبرية كما قدمها كتّاب المعاجم والمترجمون، وتبين أن المعنى الجوهري والروحي لكلمتي حِمْدَه ومَحَمُدْ هو الثناء والمستحق للثناء، المجد والمجيد، فمن بين كل المخلوقات من يمكن أن يكون الأكثر مجداً وحسن ثناء غير ذلك الذي يحبه ويتطلع إليه الناس؟ ومن منطلق هذا المعنى الواقعي استعمل القرآن الكريم كلمة (الحمد) التي يشتق منها (أحمد ومحمد)، وكلمة الحَمد هي الكلمة العبرية حِمِدْ نفسها. وقد أوضح دانيال (سفر دانيال، الفصل7) أن مجد محمّد يتفوق على مجد كل مخلوق آخر؛ لأن الشرف والمجد الأكبر قد منحه الله إلى أعظم أنبيائه لإقامة دين الله وتصحيح مفاهيمه تحت اسم (الإسلام) الذي يعني: السلام والأمان والسلامة والطمأنينة والخلاص، وكذلك الخير في مقابل الشر، ناهيك عن الخضوع والإذعان لمشيئة الله تعالى.

لقد كانت الرؤيا التي شاهدها الرعاة بمناسبة ميلاد سيدنا المسيح ذات توقيت رائع؛ لأنه ولد في تلك الليلة رسول عظيم من رسل الله المبشرين بالإسلام، لقد كان المسيح هو المبشّر بملكوت الله على الأرض كما كان إنجيله تمهيداً للقرآن وبداية لعصر جديد في تاريخ الأديان والأخلاق.

إن عيسى نفسه لم يكن (مَحْمَدْ) المقدر له أن يأتي فيما بعد لتحطيم مملكة الشر والوثنية في الأراضي الموعودة، إذ كانت القوة الرومانية الجبارة في عهده ما تزال تنمو وتتوسع، وكان مقدراً للقدس مع هيكلها الرائع أن تُدمّر على يديها بعد مجيء المسيح، لقد جاء المسيح إلى قومه، ولكنهم رفضوه وأعرضوا عنه.

وأما الذين آمنوا به فقد جُعلوا (أبناء للمملكة) وتشتَّت الباقون في الأرض، وتبع ذلك الاضطهادات العشرة الرهيبة تحت حكم أباطرة الرومان العشرة الأوائل، ثم جاء الإمبراطور قسطنطين الكبير، فثبَّت عقيدة الثالوث، وقضى على النصارى الموحّدين، ثم كانت بعثة محمد - عليه الصلاة والسلام - الذي لم يكن إلهاً أو ابن إله، ولكنه كان النبيَّ الموعودَ الذي تحققت فيه فعلياً كل الصفات التي يعنيها اسمه، فقد كان محمد ابن الإنسان المنتظر (البارناشا)، الأحمد الجدير بالثناء، الذي جاء وقضى على الوحش الكبير.

وهكذا تكون الأنشودة الملائكية في معناها الحقيقي كما يأتي:

المجد والحمد لله في الأعالي.

أوشك أن يجيء الإسلام للأرض.

يقدمُهُ للناس أحمد.

obeikandl.com

الفصل الثالث عشر

يحيى المعمدان يعلن عن نبي قوي

كان يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) - حسب روايات الحواريين الأربعة - ابن خالة عيسى، وكان معاصراً له؛ إذ ولد قبله بستة أشهر. ولا يذكر القرآن شيئاً عن حياة هذا النبي سوى أن الله أوحى لزكريا أنه سينجب ولداً اسمه يحيى ﴿**يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا** ۝٧﴾ (سورة مريم: الآية 7)، وسيكون طاهراً شريفاً صدِّيقاً بكلمة من الله ومن الأنبياء الصالحين ﴿**أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ**﴾ (سورة آل عمران: الآية 39).

كان يحيى من الناصرة، عاش في البرية يأكل الجراد والعسل البري، ويرتدي كساء من وبر الجمال، ويُعتقد أنه كان من طائفة دينية يهودية تسمى Essenes التي ظهر منها النصارى الأوائل (الإيبونيون Ebionites) الذين اشتهروا بالانصراف عن الملذات الدنيوية، والواقع أن الوصف القرآني لهذا النبي بكونه (حصوراً) تدل على أنه عاش حياته عازباً، ولم يكن معروفاً في باكورة شبابه

obeikandl.com

حتى بلغ نحو الثلاثين من عمره حين بدأت بعثته، وأخذ يدعو الناس للتوبة، وصار يعمّد اليهود التائبين في نهر الأردن، واجتذب الجماهير إلى برية يهودا حيث كانوا يسمعون مواعظه البليغة، وصار يوبخ الفريسيين Pharisees والقسيسين المتعصبين، وأنذر الدسوقيين Saducees المتعلمين الفلاسفة بالكارثة المقبلة، وأعلن أنه كان يعمّد الناس بالماء كرمز لتطهير القلوب بالتوبة، ولكن نبياً آخر قادماً بعده سوف يعمّدهم بالروح القدس والنار، وسوف يجمع القمح إلى مخزنه، ويحرق القش بنار لا تُخمد.

كما أعلن أن القادم بعده سيكون أعلى منه مكانةً من حيث السلطة والكرامة لدرجة أن يحيى قال عن نفسه: إنه (لا يستحق شرف الانحناء وحل رباط حذاء ذلك النبي) (متّى 11/3).

وحسب رواية مرقص ولوقا فإن عيسى كان من جملة الذين تعمدوا في ماء الأردن على يد يحيى كأي شخص آخر (إنني بحاجة لأن أُعمّد على يديك فهل جئت أنت إلي؟) (متّى 14/3)، ويقال: إنَّ عيسى أجاب بقوله: (دعنا نحقق الاستقامة)، ثم تعمد على يد يحيى.

أما كاتب الإنجيل الرابع فهو لا يعرف شيئاً عن تعميد عيسى على يد يحيى، ولكنه يقول: إنَّ يحيى عندما رأى عيسى صاح قائلاً: (انظروا، هذا حَمَل الله...إلخ) (يوحنا 29/1)، ويدّعي هذا الإنجيل أن (أندراوس) كان تلميذاً ليحيى، ثم ما لبث أن هجر معلّمه، وأحضر أخاه سمعان بطرس (الصفا) إلى عيسى (يوحنا 1)، وهذه

القصة تناقض بشكل صارخ أقوال الإنجيلين الآخرين (متّى 18/4-19) و(مرقص 16/1-18)، أما القديس لوقا فيذكر أن عيسى كان يعرف (سمعان بطرس) قبل أن يصبح حوارياً (لوقا 38/4-39)، ويضيف لوقا أن عيسى أضاف أولاد يونس وزبدي إلى مجموعة تلاميذه (لوقا 1/6-11) الأمر الذي لم يرد في كتابات بقية الحواريين.

كما يذكر الإنجيل الرابع أن يحيى لم يتعرف على شخصية عيسى إلا بعد أن نزلت عليه روح كالحمامة بعد أن تعمّد (يوحنا 1)، بينما يقول لنا لوقا: إن يحيى عندما كان جنيناً في رحم أمه كان يعرف عيسى ويعبده، وذلك عندما كان عيسى بدوره جنيناً أصغر في رحم مريم (لوقا 44/1)، ثم يقال لنا مرة ثانية: إنَّ يحيى عندما أُودع السجن حيث استشهد لم يكن على علم بالطبيعة الحقيقية لرسالة عيسى (متّى 2/11-3).

وهكذا فإن الأناجيل الأربعة للكنائس التثليثية تحتوي على العديد من الأقوال المتضاربة حول عيسى المسيح عليه السلام.

وقد وردت إشارة مبهمة في الأسئلة التي وجهت إلى النبي يحيى من قبل الكهنة والأولين، فقد سألوه ثلاثة أسئلة على التوالي: (هل أنت المسيح؟ هل أنت إيليا؟ هل أنت ذلك النبي؟) وعندما أجابهم على كل سؤال بالنفي قالوا له: (إذا لم تكن المسيح ولا إيليا ولا ذلك النبي، إذن فلماذا تُعمّد؟) (يوحنا 19/1-25)، وهكذا فإنه حسب

الإنجيل الرابع لم يكن يحيى المعمدان هو المسيح ولا إيليا ولا ذلك النبي. وإنني أسأل الكنائس المسيحية التي تؤمن أن مُلهم جميع الأقوال المتضاربة هو روح القدس، أيّ: ثالثُ الآلهةِ الثلاثةِ: من يعني أولئك الأحبار اليهود واللاويون بقولهم: (وذلك النبي؟) فإذا كانت الكنائس تدعي عدم المعرفة عن (ذلك النبي) فما هي الفائدة من هذه الأناجيل المحرفة المشكوك بصحتها؟ أما إذا كانت الكنائس تعرف من هو (ذلك النبي) فلماذا تبقى صامتة؟

لقد ذكر النص أعلاه صراحة أن يحيى قال: إنه لم يكن ذلك النبي، بينما يُروى أن عيسى قال: (لا يوجد ابن أنثى أعظم من يحيى) (متّى 11/11) فهل قال عيسى ذلك حقيقة؟ أوكان أعظم من إبراهيم وموسى وداود وعيسى المسيح نفسه؟ وإذا كانت هذه الشهادة من عيسى عن يحيى بن زكريا صحيحة فإن عظمة «آكل الجراد في البرية» اقتصرت على نكرانه المطلق لذاته وعزوفه عن الدنيا بلمذاتها ومباهجها كافة ورغبته الشديدة في دعوة الناس إلى التوبة وبشارته السارة عن (ذلك النبي) أم إن عظمته نتجت عن كونه ابن خالة عيسى وشاهداً عليه؟ إن قيمة وعظمة أي رجل أو نبي تقدر بأعماله وإنجازاته ولم يصل إلى علمنا عدد الأشخاص الذين اهتدوا من خلال مواعظ يحيى وتعميده الناس في النهر، كما أنَّ أثر الهداية على مواقف اليهود التائبين ـ على فرض وجودهم ـ وسلوكهم تجاه عيسى المسيح لم يكن ذا بال.

وفي مكان آخر يُروى أن المسيح أعلن أن يحيى المعمدان كان النبي إيليا نفسه (متّى 11/ 14و12/17) أو أنه تجسيد جديد للنبي إيليا (لوقا 17/1) في حين صرّح يحيى للوفد اليهودي أنه لم يكن إيليا (يوحنا 19/1-25).

فماذا يستنتج المرء من هذه الأناجيل الحافلة بالمتناقضات؟ وهل يستطيع معرفة الحقيقة منها؟ إن التهمة خطيرة جداً؛ لأن الأشخاص المعنيين اثنان من الأنبياء خُلقا في رحمي أميهما على يد الروح، وكانت ولادة كل منهما معجزة، أحدهما وُلد دون أب والثاني وُلد من أبوين عقيمين عجوزين في التسعينيات من عمريهما، والأخطر من ذلك أن رواة هذه القصص هم الحواريون الذين يُزعم أنه يُوحى إليهم من الروح القدس، وأن ما كتبوه هو الوحي! ومع ذلك فهنالك أكذوبة أو تزييف في مكان ما، فالمفروض أن إيليا (اوإلياس) يجيء قبل (ذلك النبي) (ملاخي 4/5-6) وينسبون إلى عيسى القول (يحيى هو إيليا)، ولكنّ يحيى يقول (أنا لست إيليا)، كل هذه التناقضات وردت في الكتاب المقدس!

فمن المستحيل إذن الوصول إلى الحقيقة والدين الحق من هذه الأناجيل إلا إذا قُرئت من وجهة نظر إسلامية، عندئذٍ فقط يمكن استخلاص الصدق من الكذب وتمييز الحقيقي من الزائف، ولا يمكن غربلة الأناجيل وتمييز الغث من السمين فيها إلا بمقياس الإسلام وعقيدته، وقبل أن أثبت أن النبي الذي تنبأ عنه يحيى

(متّى 11/3) لا يمكن أن يكون سوى محمد فإنني ألفت انتباه قرائي إلى نقطتين مهمتين:

1 - يكنّ المسلمون أعظم الاحترام لجميع الأنبياء ولا سيما أولئك الذين وردت أسماؤهم في القرآن الكريم مثل: عيسى المسيح ويحيى، ويؤمنون أن الحواريين كانوا رجالاً أبراراً مطهّرين، وعلى الرغم من أن كتاباتهم الأصلية ليست موجودة فإن المسلمين لا يمكن أن يقبلوا أن أياً منهم يمكن أن يناقض الآخر، وهناك أمر آخر جدير بالملاحظة وهو الصمت الغريب من قبل إنجيل برنابا عن يحيى المعمدان، هذا الإنجيل لا يذكر اسم يحيى قط، وينسب النبوءة عن (النبي الأقوى) إلى عيسى المسيح، كما يذكر أن عيسى قال عن روح محمد: إنها خلقت قبل أرواح الأنبياء الآخرين، وأخبر أنها على درجة من المجد والرفعة بحيث إنه عندما يأتي (ذلك النبي) فإن عيسى سوف يعدّ نفسه غير جدير بالانحناء وحلّ رباط حذائه.

2 - اعتاد يحيى في البرية ـ في أثناء مواعظه للجماهير ـ أن يصرخ بصوت عالٍ ويقول: (أنا أعمّدكم بالماء من أجل التوبة وغفران الخطايا، ولكن هناك شخصاً قادماً بعدي أقوى مني لدرجة أنني لا أستحق حل رباط حذائه، وهوسيعمدكم بالروح والنار) (متّى 11/3). هذه الكلمات رويت بصورة مختلفة في الأناجيل، ولكن بالمعنى نفسه، مما يدل على أكبر قدر من

الاحترام والتقدير للشخصية القوية ذات الكرامة الرفيعة التي يتمتع النبي القوي المتنبأ عنه.

وهذه الكلمات الصادرة عن يحيى المعمدان تصف الأسلوب الشرقي في استضافة وتكريم الضيف عند دخوله منزل مضيفه حيث يسارع المضيف أو أحد أفراد عائلته لخلع حذاء ضيفه ومرافقته إلى مجلس مريح، وعندما يغادر الضيف يتكرر التكريم حيث ينحني المضيف ثانية لعقد رباط الحذاء.

والذي قصده يحيى المعمدان من قوله: إنه لو قدر له أن يقابل النبي العظيم فإنه سوف يعد نفسه غير جدير بشرف الانحناء وحل رباط حذائه، ومن هذا الولاء الذي قدّمه يحيى سلفاً يبدو أن النبي الذي بشّر بقدومه كان معروفاً لدى الأنبياء كافة بأنه سيدهم وسلطانهم وكبيرهم، وإلا لما قال نبي من أنبياء الله ـ مثل سيدنا يحيى ـ هذا القول المتواضع.

والآن لتحديد هوية (ذلك النبي) نقسم البحث إلى جزأين:

أ – النبي الذي جرى التنبؤ عنه لم يكن عيسى المسيح.

ب– النبي الذي جرى التنبؤ عنه هو محمد بالذات.

عدّت الكنائس النصرانية يحيى المعمدان تابعاً لعيسى ومبعوثاً له، وهكذا فإن المفسرين والمعلقين النصارى يظهرون عيسى وكأنه المقصود بنبوءة يحيى، ومع أن المزيّفين شوهوا نصوص الأناجيل في

obeikandl.com

ذلك الاتجاه إلا أن الزيف لا يمكن أن يخفى عن فكر القارئ المحايد، إن عيسى لا يمكن أن يكون موضوع نبوءة يحيى للأسباب الآتية:

1 - أن كلمة (بعدي) تستبعد أصلاً؛ لأن عيسى ويحيى ولدا في سنة واحدة وعاصر أحدهما الآخر، يقول يحيى: (إن ذلك الآتي بعدي أقوى مني) وكلمة (بعدي) هذه تدل على مستقبل غير محدود، وبلغة النبوءة فهي تعبر عن دورة أو أكثر من دورات الزمن، ومن المعروف جيداً لدى المتصوفة أنه في كل دورة زمنية تقدر بنحو خمسة أو ستة قرون يظهر نبي لامع يمتد أثره في أنحاء العالم، وتدوم إصلاحاته أجيالاً عدة إلى أن يحين ظهور نبي آخر، وهكذا فقد ترصّع تاريخ الدين الحق من إبراهيم إلى محمد بأسماء بارزة منها: إبراهيم وموسى وداود وزيروبابل وعيسى ومحمد، لقد وجد يحيى أمته تعاني من حكم الإمبراطورية الرومانية وملوك اليهود الأشرار، وشاهد رجال الدين الفاسدين يضللون الشعب اليهودي، ويفسدون الكتب المقدسة ويروّجون للأساطير الخرافية حتى فقد اليهود كل أمل إلا أملهم بأن أباهم الأكبر إبراهيم سيخلصهم، فقال لهم يحيى: إنهم لا يستحقون أباً مثل إبراهيم، وإن الله قادر على إنهاض سلالة لإبراهيم من الحجارة (متّى 9/3)، وكان اليهود آنئذ ـ كما هم اليوم ـ

ينتظرون مسيحاً من سلالة داود ليأتي ويعيد لهم مملكة داود في القدس، وعندما وجّه الوفد اليهودي السؤال إلى يحيى: (هل أنت المسيح؟) أجاب يحيى بالنفي عن هذا السؤال وما تلاه من أسئلتهم (يوحنا 1/20-21).

وإذا أهملنا المبالغات الواضحة التي أضيفت إلى الأناجيل فمن المؤكد أن يحيى قدّم عيسى إلى الجماهير على أنه المسيح الحقيقي، ونصح الناس بطاعته واتباع تعليماته وقبولِ إنجيله، كما أخبرهم أن هنالك نجماً أخيراً، من العظمة عند الله وفي الدنيا، بحيث إن يحيى لا يستحق حلّ رباط حذائه.

2 - لو كان عيسى المسيح هو المقصود بعبارة يحيى فالمفروض أن يلتحق يحيى بعيسى، ويخضع له كتلميذ وتابع، ولكنه لم يفعل ذلك، بل على العكس كان يعظ ويعَمّد ويستقبل التلاميذ، ويوبّخ الملك هيرودس، ويقرّع الطبقات اليهودية الحاكمة، ويتنبأ بمجيء نبي آخر أقوى منه دون أن يعير أدنى التفات لوجود ابن خالته عيسى المسيح في يهودا أو الجليل.

3 - لقد جعلت الكنائس النصرانية من عيسى المسيح إلهاً أو ابن إله على الرغم من كونه مختوناً مثل كل الإسرائيليين ومعمداً على يد النبي يحيى مثل اليهود العاديين مما يثبت عكس ذلك، والكلمات التي قيل: إنه جرى تبادلها بين يحيى وعيسى في نهر الأردن تبدو تحريفاً وابتذالاً واضحاً؛ فلو كان عيسى

حقيقة هو الشخص الذي تنبأ به يحيى على أنه (أقوى) منه لدرجة أنه لم يكن أهلاً للانحناء وحل رباط حذائه وأنه (سوف يعمدُ بالروح والنار) لو كان الأمر كذلك لما كان هناك أي معنى لتعميد عيسى في النهر كأي يهودي آخر على يد شخص أقل منه، أما التعبير المنسوب لعيسى (دعنا نحقق الاستقامة) أو (يجدر بنا أن نحقق كل العدالة) فهو غير مفهوم ألبتة، فلماذا تتحقق كل العدالة لمجرد تعميد عيسى؟ هذا التعبير تحريف وتشويه واضح ومتعمّد، ومن وجهة نظر إسلامية فإن المعنى الوحيد لهذا التعبير أنّ يحيى بنظرته الصوفية الثاقبة أدرك الطابع التنبؤي لعيسى، واعتقد لبرهة وجيزة أنه النبي العظيم خاتم رسل الله، وبالتالي أحجم عن تعميده، ولكن حينما أخبره عيسى بهويته الحقيقية وافق يحيى على تعميده.

4 - عندما كان يحيى في السجن أرسل تلاميذه إلى عيسى يسألونه: (أأنت النبي الموعود أم ننتظر واحداً غيرك؟) (متّى 3/11) مما يظهر بجلاء أن يحيى لم يكتشف نبوءة عيسى إلا بعد أن سمع عن معجزاته وهو في السجن، وهذه الشهادة من متّى تناقض الإنجيل الرابع (يوحنا 29/1) الذي يدّعي أن يحيى عندما رأى عيسى قال: (انظروا حمل الله الذي يمسح ـ أو يتحمّل ـ خطيئة العالم) كما يبدو أن كاتب الإنجيل الرابع لم يعرف شيئاً عن استشهاد يحيى (متّى 10/14-14، مرقص 14/6-29).

ومن وجهة نظر إسلامية بحتة فإنه يستحيل على نبي كيحيى أو أي نبي آخر أن يستخدم تعبيراً إلحادياً كهذا عن عيسى المسيح، لقد كانت الفحوى من رسالة يحيى الحض على التوبة، فالمعمودية كانت عبارة عن وضوء يرمز إلى طرح الخطايا بالإضافة إلى الإقرار بالذنوب وتعويض من تضرر بها، أو طلب السماح منه، والعزم على عدم ارتكاب الذنوب ثانية، ولو كان عيسى (حَمَل الله) الذي يمسح خطايا العالم لكان وعظ يحيى بالتالي سخيفاً وعديم الجدوى، إن الخطأ الذي شوه دين الكنائس هو نظرية التضحية التي تتم نيابة عن الآخرين، وهي نظرية سخيفة، فهل مسح (حمل الله) خطايا العالم؟ إن صفحات التاريخ الكنسي المظلمة تجيب عن ذلك السؤال بالنفي القاطع، و(الحُمْلان) في مقصورات الاعتراف يخبرون أن النصارى على الرغم من علمهم وحضارتهم يرتكبون من الخطايا وأعمال القتل والسرقة والانغماس في الشهوات والزنا والحروب والمظالم وحب المال ما هو أشد مما ترتكبه بقية البشرية جمعاء.

5 – لا يمكن ليحيى المعمدان أن يكون السلف المبشر بعيسى على النحو الذي تفسره الكنائس، فالأناجيل تقدمه لنا على أنه (صوت يصرخ في البرية) كتحقيق لعبارة جاءت في (سفر إشعيا 3/40)، وكممهد لبعثة عيسى المسيح استناداً إلى قول النبي ملاخي (ملاخي 1/3) ، ولو كانت مهمة يحيى إعداد الطريق لعيسى الذي سيجيء فجأة إلى هيكله فاتحاً منتصراً

حيث يقيم دين (السلام)، ويجعل القدس بهيكلها أكثر مجداً من ذي قبل (حجي 2/7-9) لكانت تلك المهمة قد لاقت الفشل الذريع والإحباط الكامل، فبدلاً من أن يستقبل يحيى أميره مظفّراً في القدس عند بوابة الهيكل بين جموع اليهود فإن يحيى يستقبله عارياً مثله في نهر الأردن، ثم يقدم سيده بعد تغطيسه في الماء إلى الجماهير بقوله: (هذا هو ابن الله) أو في قول آخر: (انظروا حَمَل الله) مما يعني التحقير لشعب إسرائيل أو السخرية منه أو السخرية من عيسى أو الكفر، أو يعني كل هذه الأمور معاً، أو أنه يجعل من نفسه أضحوكة أمام الناس.

لقد أساءت الكنائس فهم الطبيعة الحقيقية لرسالة يحيى، وأخطأت المعنى الحقيقي لمواعظه، وسوف أبين في الفصل الآتي أن طبيعة رسالة يحيى من جهة، وهدف بعثة المسيح إلى اليهود من جهة ثانية، أمران مختلفان تماماً عمّا تحاول الكنائس اعتقاده.

obeikandl.com

الفصل الرابع عشر

محمد هو النبي الذي تنبأ به يحيى

هنالك ملاحظتان مهمتان جداً أبداهما سيدنا عيسى المسيح عن يحيى المعمدان، ولكنهما مسجلتان بطريقة غامضة.

الأولى: هي التي تقول إنَّ يحيى تجسّد لإيليا (إليجاه) المذكور في العهد القديم، ثم صمت عيسى الواضح عن هوية الشخص الذي كان من المفترض أن يعلن عنه إيليا (وليس إلياس) ويقدمه للعالم على أنه آخر الأنبياء، كما أن كلام عيسى المسيح في هذا الصدد غامض ومبهم جداً، فلو كان يحيى هو إيليا كما هو مذكور بوضوح تام بلا خوف ولا تردد فلماذا لا يذكر اسم الشخص المفترض أن يكون إيليا مبشراً به؟ وإذا كان عيسى هو ذلك الشخص أي (رسول العهد) و(الأمر) كما تترجم الترجمة اللاتينيةVulgate للكتاب المقدس كلمة (أدون) (ملاخي 1/3)، فلماذا لا يقول عيسى بصراحة: (إن يحيى هو إيليا الذي أرسل ليمهد لي الطريق)؟ وإذا لم يكن الأمر كذلك فالمفروض أنه قال بصراحة: (إن يحيى هو إيليا الذي أرسل ليمهد السبيل أمام محمد) ولكن هنالك أيدٍ شيطانية

تلاعبت بالنص، وأزالت كلمات عيسى من الإنجيل الأصلي، حتى صارت الأناجيل الحالية هي المسؤولة عن هذا الغموض وعن تضليل بلايين النصارى لقرون عديدة من الزمن؛ لأن أقل ما نتوقعه من سيدنا عيسى عليه السلام أن يذكر بوضوح من هو النبي الذي جاء يحيى ليبشر به، ونحن قطعاً لا يمكن أن ندَّعي أن عيسى كان غامضاً في تعاليمه، ولا يمكن أن ننسب إليه حب الغموض، ولكن هنالك أمثلة عدة في الأناجيل تضع على لسان عيسى أجوبة أو أقوالاً غير مفهومة ألبتة.

أما الملاحظة الثانية فهي مبطنة بغموض أشد، إذ يقول عيسى: (لا يوجد ابن أنثى أعظم من يحيى المعمدان، ولكن أقل من في مملكة السماء أعظم شأناً من يحيى) (متى 11/1)، فهل قَصَدَ عيسى المسيح أن يحيى وجميع الأنبياء والأتقياء جميعاً كانوا خارج مملكة السماء؟ ومن هو ذلك الأقل الذي كان أعظم من يحيى؟ وبالتالي أعظم من البشر كافة الذين يعدّ يحيى أعظمهم؟ أقصد عيسى نفسه بكلمة الأقل أم هو الأقل بين النصارى المعتمدين؟

قطعاً لا يمكن أن يكون قَصدَ نفسه؛ لأن تلك المملكة لم تكن قد نشأت على الأرض في زمنه، وحتى لو كانت نشأت في عهده ـ وهو الشيء الذي لم يحدث ـ فإنه لا يمكن أن يكون هو الأقل فيها؛ لأنه يُفترض أن يكون مؤسسها، ولذا فقد اكتشفت الكنائس حلاً سخيفاً جداً لهذه المشكلة، وذلك الحل هو أن أقل مسيحي مغسول بدم

obeikandi.com

عيسى من خلال طقس المعمودية يصبح أعظم من يحيى ومن كل البشر بمن فيهم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وداود وإيليا ودانيال! وسبب هذا الادعاء العجيب أن المسيحي مهما كان خاطئاً أو مجرماً أو منحطّاً فله حق التمتع بامتيازات لا حصر لها شريطة أن يؤمن بأن عيسى هو مخلّصه، ومن هذه الامتيازات التطهر من الخطيئة الأصلية عن طريق المعمودية، والاعتقاد بالثالوث، والأكل من لحم عيسى ودمه في طقوس القربان المقدس، ورسم إشارة الصليب، وامتياز مفاتيح الجنة وجهنم الموضوعات تحت تصرف الكاهن الكبير، والنشوة العارمة لطوائف البيوريتان والكريكوز والإخوان وبقية النِحل الأخرى التي تدّعي هذه الامتيازات لأتباعها، كلّ منها بطريقتها كما تدّعي أن كل مسلم جيد سوف يصبح يوم القيامة كعذراء طاهرة تقدم نفسها (لحَمَل الله)، فهل يعقل أن يصدق النصارى أن (أقل) واحد منهم هو (أعظم) من الأنبياء كافة؟ وكيف يمكن الاعتقاد أنهم أعظم مكانة من آدم وحواء لمجرد أنّ لغز الثالوث قد انكشف لهؤلاء الحمقى ولم ينكشف لآدم وحواء؟ أو كيف يمكن الادعاء أنّ أميراً بريطانياً مثلاً أو زنجياً إفريقياً هو أعظم من يحيى لمجرد أنهما مسيحيان؟ أليس هذا الاعتقاد أبعد ما يكون عن الحصافة في هذه الأيام المتميزة بالرقي وتقدم العلوم والعقول؟

ومع ذلك فإن جميع هذه المعتقدات والمتناقضات منبثقة من العهد الجديد، ومن الكلمات المنسوبة إلى سيدنا عيسى عليه

obeikandl.com

السلام وحوارييه، ولكن ثمة شرارات متلألئة موجودة في الأناجيل تكفينا نحن المسلمين لاكتشاف الحقيقة عن عيسى الحقيقي وابن خالته يحيى.

يحيى المعمدان تنبأ بمحمد

1 - حسب شهادة عيسى لا يوجد ابن أنثى أعظم من يحيى، ولكن (أقل من في مملكة السماء أعظم من يحيى، إن المقارنة هي بين يحيى وجميع الأنبياء في مملكة السماء، وحسب الترتيب الزمني فإنّ آخر الأنبياء هو أصغرهم جميعاً، وإنّ كلمة (زعَيرا) الآرامية مثل كلمة (صغير) العربية تعني الصغير أو اليافع، وتستخدم البشيتا - وهي نسخة الكتاب المقدس الآرامية - كلمة (زعيرا) مقابل كلمة (ربّا) التي تعني الكبير أو كبير السن. إن كل نصراني يعرف أن عيسى ليس آخر الأنبياء، ولذلك لا يمكن أن يكون أصغر؛ إذ إنه بحسب سفر أعمال الرسل لم تقتصر هبة النبوة على الحواريين فقط، ولكن كان هناك رجال صالحون كثيرون في عصرهم تمتعوا بها أيضاً (سفر أعمال الرسل11/27- 1/13،28، 32/15، 9/21- 10)، وبما أننا لا نستطيع أن نحدد الرسول الأخير من بين رسل الكنيسة الكثيرين فإننا مضطرون لأن نبحث عن نبي يكون الأخير قطعاً، ويكون خاتم الأنبياء، هل نستطيع أن نتصور ما هو أقوى وأبلغ في الدلالة على نبوة محمد من تحقق بشارة

المسيح المدهشة في شخص محمد وحده دون غيره من الأنبياء؟

إن محمداً بلا شك هو أصغر سناً في سلسلة الأنبياء، إنه «بنيامين» الأنبياء، ومع ذلك فهو صفوتهم وسلطانهم وسيدهم، وإن إنكار نبوة محمد هو إنكار لكل الوحي الإلهي والرسل كافة الذين بشروا به؛ لأن جميع الأنبياء معاً لم ينجزوا العمل الهائل الذي قام به نبي مكة وحده في مدة قصيرة لم تتجاوز ثلاثة وعشرين عاماً من بعثته النبوية.

إن لغز الوجود المسبق لأرواح الأنبياء لم يكشف لنا، ولكن المسلم يؤمن به، ويروي إنجيل برنابا على لسان عيسى أن روح محمد خُلقت قبل كل شيء، ومن هنا يقول يحيى عن النبي الذي بشَّر به: (ذلك الذي يجيء بعدي قد خُلق قبلي؛ لأنه كان قبلي) (يوحنا 15/1)، ومن العبث تفسير هذه الكلمات المدهشة ليحيى عن محمد على أنها تشير إلى عيسى كما يحاول أن يفعل مؤلف الإنجيل الرابع.

وفي كتاب «حياة المسيح» لمؤلفه إرنست رينان يوجد فصل مهم عن يحيى المعمدان، وقد قرأته بإمعان منذ أمد طويل، وتبيّن لي أنه لو كان لدى الكاتب الفرنسي المذكور أدنى درجة من الاعتبار للنبي محمد من بين جميع الأنبياء لكانت أبحاثه ودراساته قد أوصلته إلى نتيجة مغايرة تماماً لما توصل إليه، ولكن للأسف فإنه مثل غيره من نقاد الكتب المقدسة، بدلاً من أن ينجحوا في الوصول إلى

obeikandl.com

الحقيقة فإنهم ينتهون إلى انتقاد الدين؛ لأنهم يحصرون اهتمامهم بدراسة الكتاب المقدس فقط دون القرآن، فيسهمون في إضلال قرائهم.

ويسعدني ويشرفني أنني تمكنت بعون الله من كشف الغموض الذي يلفّ عبارة (الأقل في مملكة السماء).

2 – لقد أدرك يحيى المعمدان أن خاتم الأنبياء والرسل محمداً سيكون أعلى منه قدراً وأكثر مقدرة، وفي ذلك التصريح المهم الذي أعلنه يحيى على الجماهير اليهودية والذي مفاده (ذلك الذي جاء بعدي) يُذكّر اليهود بمن فيهم النساخ والفريسيون والقانونيون بالنبوءة القديمة التي قالها جدهم الأكبر يعقوب الذي استعمل صفة (شيلوه) بمعنى (رسول الله)، وهي صفة كثيراً ما وصف عيسى بها محمداً كما ورد في إنجيل برنابا، وعند كتابة حلقتي السابقة عن (شايلوه) قلتُ: إن الكلمة قد تعني تحريفاً لـ(شيلواح) التي تعني (رسول الله)، وأضيف الآن أن القديس جيروم قد فهم الصيغة العبرية بذلك المعنى أيضاً؛ لأنه ترجمها بعبارة (ذلك الذي أرسل).

عندما أتخيل النبي يحيى وهو يوجه مواعظه بصوت عالٍ في البرية أو على ضفاف الأردن إلى جماهير اليهود الذين وراءهم حوالي أربعة آلاف عام من التاريخ الديني، ثم أستعرض الأسلوب الهادئ المنظم الرزين الذي كان يعلن فيه محمد الآيات السماوية

من القرآن على العرب الجاهليين، ثم عندما أتفحص تأثير كل من هاتين الدعوتين في ضوء النتيجة النهائية لكل منهما حينئذ أتفهم ضخامة البعد الشاسع بينهما، وأدرك أهمية الكلمات القائلة: (إنه أقوى مني). وعندما أتخيل قصة القبض على يحيى المعمدان الأعزل من قبل هيرودس أنتيباس[1] ثم قطع رأسه بصورة وحشية، وعندما أتابع الروايات المضطربة والمأساوية لجلد عيسى (أو يهوذا الإسخربوطي) من قبل بيلاطس وتتويجه بتاج من الشوك على يد هيرودس، وما تبع ذلك في كالفاري، وبالمقابل أتأمل الدخول المظفر لسلطان الأنبياء إلى مكة وتدميره جميع الأصنام وتطهير الكعبة، ومنظر أعدائه المدحورين بقيادة أبي سفيان وهم على قدمي (الشيلواح) رسول الله المظفر يطلبون منه العفو والرحمة ويعلنون إيمانهم بالدين الجديد، وعندما أفكّر في خطبة الوداع لخاتم الأنبياء (اليوم أكملت لكم دينكم...)، عندئذ أفهم تماماً كلام يحيى حين قال: (إنه أقوى مني).

3 - (الغضب القادم): من يستطيع أن يجد تفسيراً معقولاً أو مقنعاً لهذه العبارة في أي من الشروح العديدة للأناجيل؟ ماذا يقصد يحيى أو ماذا يريد من مستمعيه أن يفهموا من قوله: (انظروا

(1) ثمة خلط في الأناجيل في رواية استشهاد يحيى وفيما يتعلق بعائلة هيرودس الكبير (متّى 14 وغيره)، وبإمكان القارئ الرجوع إلى (جوزيف فلافيوس) في كتابه (Antiquities) حول الموضوع. (المؤلف).

obeikandl.com

لقد وقعت البلطة على جذور الشجرة؟) أو عندما قال: (إنه يمسك المروحة بيده ليطهّر بيدره) أو عندما مسخ لقب (أبناء إبراهيم) إلى لا شيء؟

لن أثقل عليكم في عرض أوهام المفسرين؛ لأنها أوهام خيالية لم يحلم بها يحيى ولا مستمعوه، ولكن هل كان بإمكان يحيى أن يقنع الفريسيين المتغطرسين والسدوقيين العلمانيين الذين أنكروا القيامة الجسدية أصلاً، هل كان بإمكانه أن يقنعهم بغضب الله القادم في الآخرة؟ وبنار جهنم التي سوف تحرقهم كالأشجار اليابسة؟ إن نبي التوبة والبشارة لم يتحدث عن الغضب البعيد الذي لا شك في أنه ينتظر الكفرة الفاسقين في الآخرة، ولكنه تحدث عن الكارثة الوشيكة للأمة اليهودية، وقد يغضب الله الذي ينتظر اليهود في الآخرة إذا ما استمروا في عصيانهم ورفضهم لرسالته رسالة المسيح، كانت الكارثة القادمة التي أشار إليها هي دمار القدس وتشتت بني إسرائيل نهائياً، وهو ما حدث تماماً بعد ذلك بثلاثين سنة خلال حياة كثير من الذين حضروا موعظة يحيى، لقد أعلن كل من يحيى وعيسى عن قدوم رسول الله العظيم الذي تنبأ به يعقوب، وأنه عند قدومه سوف تُنزع السلطة والنبوءة من اليهود، الأمر الذي تحقق بعد ستة قرون عندما قام محمد بتدمير آخر معاقلهم، وأخرجهم من جزيرة العرب.

4 – دأب اليهود والمسيحيون على اتهام النبي محمد بأنه أقام دين

الإسلام بالقوة والإكراه، ويحاول المسلمون دوماً دحض ذلك، ولكن هذا لا يعني أن محمداً لم يستخدم القوة مطلقاً، لقد اضطر لاستخدامها للدفاع عن دين الله؛ لأن الفرصة التي تكرم الله بإعطائها لليهود ولغير اليهود والعرب دامت أكثر من أربعة آلاف سنة، ثم أرسل الله رسوله الأخير بعد هذه المدة ومعه السلطة والسيف والنار والروح لمجابهة الكفرة الأشرار وأبناء إبراهيم الجاحدين، سواء أكانوا من بني إسماعيل أو بني إسرائيل.

إن العهد القديم بكامله ليس سوى قصصٍ عن الحكم الديني مع قصص الارتداد إلى الوثنية، وبين الحين والآخر كانت تلمع شرارة صغيرة للإسلام (أي: دين الله) في القدس وفي مكة، ولكنها كانت دوماً موضع اضطهاد قوى الشيطان، فقد تعاقبت الوحوش الشيطانية الأربعة في اضطهاد القلة المؤمنة، ثم جاء محمد ليسحق الأفعى السامة ويعطيها اللقب الكريه (إبليس) أي: (الشيطان المقهور)، ومن المؤكد أن محمداً كان نبياً محارباً، ولكن الهدف من حربه كان النصر لا الانتقام، وهزيمة العدو لا إبادته، وباختصار: إقامة دين الإسلام كمملكة الله على الأرض، والحقيقة أنه عندما نادى المنادي في الصحراء: (مهّدوا الطريق للسيد واجعلوا طرقه مستقيمة) كان يشير إلى محمد الذي سيحقق ملكوت الله في الأرض بعد أن اقترب موعده.

openkandil.com

لقد زال الزيف والأوثان أمام هدي محمد، وانهارت الإمبراطوريات أمام سيفه، وأصبح أبناء مملكة الله متساوين، وشكلوا الجماعة المؤمنة التي تمثل (أولياء الله تعالى)، ذلك أن المساواة بين البشر لا تتحقق إلا في الإسلام حيث لا كهنوت ولا طقوس ولا طبقات، جميع المؤمنين سواسية لا يتفاوتون إلا بالفضيلة والتقوى، وفي ذلك فقط يمكن أن يتفوق بعضهم على بعض، إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا يعترف بأي وسيط بين الله وبين الإنسان.

obeikandl.com

الفصل الخامس عشر

معمدانية يحيى وعيسى ليست إلا نوعاً من (صِبْغَةِ الله)[1]

من المحزن أن الحواريين لم يتركوا لنا تفصيلاً عن موعظة يحيى، وعلى فرض أنهم فعلوا فإن الكنيسة قد أغفلتها؛ إذ من المستحيل على أكثر المستمعين علماً أن يفهموا العبارات الغامضة المنسوبة إلى يحيى، المحاطة بألغاز في شكلها الحالي، لقد طلب منه الكهنة والقضاة اليهود أن يشرح لهم أقواله في نقاط عدة (يوحنا 1/19– 23 و5/33)، ولا شك في أنه قد أوضح هذه النقاط المهمة لسامعيه، ولم يتركهم ضحية للغموض؛ لأنه كان (الشمعة المحترقة المضيئة التي تشهد بالحق) (يوحنا (35-5/33) فماذا كانت شهادته بالحق؟ وماذا كانت الحقيقة التي شهد لها؟ إن ما يزيد الأمر غموضاً هو اختلاف نصوص الأناجيل فيما يتعلق بهذا الموضوع، فهل كانت شهادته عن شخص المسيح؟ أم هل كانت عن رسول الله الذي تنبأ عنه يعقوب؟ (سفر التكوين 10/49) وما

(1) سورة البقرة، الآية 138: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾.

النصوص الدقيقة لشهادته حول عيسى وحول نبي المستقبل الذي كان أعلى منه قدراً؟

في فصل سابق برهنت بشكل حاسم أن النبي الذي تنبأ به يحيى لم يكن عيسى المسيح، وأنا أعتقد دون تردد أن الحقيقة التي شهد بها يحيى كانت تتعلق بمحمد. وهذه الحجج هي في رأيي المتواضع وقناعتي الأكيدة مطلقة وصحيحة وحاسمة، ويمكن لكل منها أن يكون موضوعاً لكتاب كبير مستقل، كما أنني على وعي تام بأن هذه الحجج سوف تزلزل تفكير كثيرٍ من النصارى الشديدي التعصب، وعلى أي حال فإن الحقيقة ترفع نفسها، وترفع قدر الذين يعملون على نشرها، لقد أعطى يحيى شهادتين؛ واحدة عن (شليها دا لله)، وكان معناها باللهجة الفلسطينية الدارجة عندئذ (رسول الله) والأخرى كانت عن عيسى الذي أعلن أنه ولد من الروح القدس، وليس من أب بشري، إنه المسيح الحقيقي الذي أرسله الله كآخر الأنبياء العظام من اليهود كي يمد شريعة موسى بروح جديدة، وليبلغ اليهود أن خلاصهم متوقف على الخضوع لحفيد إسماعيل العظيم، ولكن كما فعل أجدادهم الذين أفسدوا كتابهم المقدس بالتحريف كذلك فعل يهود الكنيسة النصرانية، فقد أفسدوا وحرفوا الإنجيل، ومع ذلك فإن هذا التحريف لم يستطع طمس الحقيقة.

إن قوة وتفوّق أمير رسل الله تنبثق من المعمودية بالروح المقدس وبالنار، وقد اعترف مؤلف الإنجيل الرابع أن عيسى وتلامذته

اعتادوا أن يتعمدوا بالماء مع يحيى المعمدان (يوحنا 3/22-23) مما ينقض النص الذي ورد في الإنجيل نفسه: (إن عيسى لم يعمّد نفسه، ولكن عمّد تلاميذه فقط) (يوحنا 4/2)، وحتى لو أن عيسى لم يعمّد نفسه في جداول المياه فلا شك في أنه أمر تلاميذه بأن يتعمدوا بالماء تماماً كما كان يفعل يحيى، ما يبين أنه لم يكن الشخص المقصود بنبوءة يحيى ـ الصارخ في البرية ـ عن النبي القوي الذي يعمد بالروح وبالنار (متى3/11)، ولا يحتاج الأمر إلى ذكاء خارق لفهم هذه الحجة، وإذا كانت الكلمات والمواعظ والنبوءات تحمل أي معنى أو هدف أو مغزى فإن كلمات يحيى تعني أن التعميد سوف يستمر بالماء حتى ظهور الـ(شايلوه) أي: رسول الله، وعندئذ يصبح التعميد بالروح والنار، هذا هو الاستنتاج المنطقي الوحيد والمفهوم الذي يمكن استخلاصه من مواعظ يحيى كما هي مدونة في الفصل الثالث من إنجيل متى، ولكن استمرار الكنيسة في التعميد بالماء ورفع هذه العملية إلى مصافٍّ الطقوس يبين أنَّ الكنيسة لا تؤمن إلاّ بالتعميد بالماء، وليس بالروح القدس والنار.

غير أنّ التعميد بالماء يختلف تماماً عن التعميد بالروح والنار، فالأول يتم عن طريق التغطيس أو غسيل الجسم بالماء كعلامة على التوبة، أما الثاني فلم يعد يتم بالماء ولكن بالروح القدس والنار وتأثيره يتجلى في تغيير كامل للقلب والإيمان والمشاعر، الأول يطهر الجسم، والثاني ينير العقل ويثبت الإيمان، الأول يغسل السطح،

obeikandl.com

والثاني يغسل اللب، الأول خارجي وهي اليهودية، والثاني داخلي وهو الإسلام، وقد كان للتعميد اليهودي ـ النصراني ما يبرره طالما كان التعميد الإلهي ـ أي: صبغة الله ـ مرتقباً، ولكن بعدما نزل الوحي القرآني على محمد فقد تلاشى التعميد السابق كما يتلاشى الظل؛ إذ حلّ الغسل والوضوء في الإسلام محل المعمودية النصرانية، وهو أمر لا يحتاج لنبي أو كاهن كي يؤديه للآخرين، ولكن يقوم به المؤمن نفسه، ولذا لم يعد لدى النصارى أي مبرر للتمسك بمعموديتهم بالماء إلى ما لا نهاية طالما أن أناجيلهم تنبأت بأن هذه المعمودية سوف تلغيها معمودية أخرى غير الغسل بالماء، ولمزيد من الإيضاح أطرح الملاحظات الآتية:

أ – من حق المرء أن يوافق أو يختلف مع مبادئ الآخرين، ولكن لا يوجد أي مبرر لأن يقوم أحدهم بتشويه مبادئ الغير عمداً كي يتوصل إلى البرهنة على نظرياته، خاصة أنّ تشويه الكتب المقدسة والتلاعب بها لإثبات معتقد ما أو نظرية معينة ليس سوى عملٍ إجراميٍّ؛ لأن الضرر الذي يسببه طويل الأمد، ويستحيل إصلاحه، والآن فإن الأناجيل قد وصفت لنا معمودية كل من يحيى وعيسى بوضوح، والعجيب أنها منافية تماماً لمعمودية الكنائس.

ليس معروفاً على وجه التأكيد(م1) (م2) الأصل العبري أو الآرامي لكلمة Baptismos اليونانية، علماً أن نسخة (البشيتا)

الآرامية تستخدم كلمة (معموديثا) من الفعل (عِمَد) و(عَمَد) الذي يعني الوقوف كالعمود، وفي صيغة الفعل الذي يتعدّى إلى مفعول به (عامَدَ) يكون المعنى: (يَنصب، يقيم، يُؤسس أو يثبت)، كل ذلك مما ليس فيه أية دلالة على التغطيس أو الرش أو الاستحمام في حين أن الأفعال العبرية: (رحصْ) بمعنى يستحم (وتُفل) بمعنى يغمس أو يغطس قد تعطي معنى الكلمة اليونانية Baptismos، على الرغم من أن الفعل (عَمَد) في جميع اللغات السامية بما فيها العربية يعني (الوقوف منتصباً كالعمود)، ولا يحوي معنى الغسل أو الغطس، ولذلك فإن كلمة (معمودية) لا يمكن أن تكون هي الكلمة الآرامية الأصلية التي تُرجمت إلى Baptismos اليونانية، كما أنه لا داعي لإيضاح أن كلاً من يحيى وعيسى لم يسمعا قط كلمة Baptismos بصيغتها اليونانية، وفي الوقت نفسه فإنهما لم يستعملا كلمة (تعميد)، لأنها لا تؤدي المعنى.

ب- الدلالة الكلاسيكية لكلمة Baptismos اليونانية تحمل معنى (صبغة وتلون وتغطيس)، وإن الكلمة المقابلة بالآرامية لا يمكن أن تكون سوى (صَبَأيي) وبالعربية (صَبَغ) ومن الحقائق المعروفة جيداً أن الصابئين ـ أو الصابغين ـ كانوا من أتباع يحيى، وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وعند آباء الكنيسة النصرانية القدامى مثل إبيفانوس وسواه وبحسب ما ورد في الفصل السادس من كتاب «حياة المسيح» لمؤلفه الشهير (إرنست

رينان) فإنّ اسم الصابئين يعني المعمدانيين الذين مارسوا المعمودية، وكانوا يعيشون حياة تقشف وزهد كالهسائيين Ess-enians أو Al-Chassaites والأيبونيين Ebionites، وإذا ما تذكرنا أن مؤسس جماعتهم (بوداسب Budasp) كان أحد حكماء الكلدان فإن التهجئة الصحيحة لاسمهم تكون (صباغي) بمعنى الصبّاغين ـ أي: المعمدانيين ـ وكان مار شمعون وهو من رجال الدين الكلدان ـ الآشوريين المشهورين في القرن الرابع يدعى «بارصباغي» ـ أي: ابن الصبّاغين ـ ويحتمل أن أسرته كانت تنتمي إلى الصابئة، وفي القرآن الكريم ورد اسم (الصابئين) كما هو في الآرامية الأصلية أي: مع همزة بدل الغين؛ لأن القرآن يورد جميع الأسماء الأجنبية على الشكل الذي كان يلفظه العرب، وهناك بعض التفسيرات الأخرى لكلمة (صابئي)، فمثلاً يفترض بعضهم أنها مشتقة من (صابئ بن شيت) ومع أنه لم يكن لدى الصابئة أي أمور مشتركة مع الكنائس النصرانية سوى معموديتهم التي كانوا يسمونها (السبعوثا) إلا أنهم كانوا يُدعون خطأ: نصارى يحيى المعمدان.

لقد كانت هنالك ثلاث صيغ للمعمودية: واحدة لليهود والثانية للصابئة والثالثة للنصارى، أما المعمودية اليهودية التي لم يكن لها أصل في كتب اليهود المقدسة فقد اختُرعت بشكل رئيس من أجل المعتنقين الجدد لليهودية، وكان الكاهن اليهودي يعمد الذي يحوله

إلى الدين اليهودي باسم الله، أما الصابئة فكانوا يعمدون باسم الله ويحيى، ولكن القسيس كان يعمد باسم الأب والابن والروح القدس، ولا يذكر اسم الله وعيسى صراحة، ومن ذلك يظهر التباين بوضوح بين الأنظمة المعمدانية الثلاثة، فاليهودي كموحّد حقيقي لم يكن ليحتمل اقتران اسم يحيى مع اسم (الإلوهيم)، أما الصيغة النصرانية فكانت منافية لعقيدة اليهود والصابئة معاً.

إن هذه الأشكال المختلطة للمعمودية لم تكن سوى عملية رمزية للتطهير، وقد استعملت الماء كمادة لمعموديتها وبأسلوب متشابه، وقد أطلق كل من الأديان الثلاثة عليها اسماً مختلفاً عن الآخر، فالصابئة استخدموا كلمة (سبعوثا) الآرامية التي تعني Baptismos اليونانية، ويحتمل أن النصارى من الساميين اتخذوا اسم (معموديثا) الذي لا توجد له أدنى علاقة من ناحية لغوية مع الغسل أو التغطيس أو التطهير لمجرد تمييز معموديتهم عن معمودية الصابئة.

وهكذا حلت كلمة معموديثا محل (سبعوثا)، والملاحظ أن ترجمة (البشيتا) الآرامية استخدمت كلمة معموديثا بمعنى بركة أو حوض الغسل (يوحنا2/5) وهناك تفسير آخر قد يؤدي إلى حل المشكلة وهو أن يحيى وأتباعه وعيسى وتلاميذه كانوا يجعلون التائب أو المعتنق الجديد للدين يقف في النهر مستقيماً كالعمود في أثناء غسله، ومن هنا جاء لفظ (عَمَد) و(معموديثا).

جـ- لقد لعن (مجمع ترنت Gouncil of Trent) كل شخص يقول إن المعمودية النصرانية تشبه معمودية يحيى، وأتجرأ فأقول: إن المعمودية النصرانية ليست خالية من الأثر الروحي وحسب، بل هي أيضاً دون مستوى معمودية يحيى، وإن مزاعم النصارى عن المعمودية أنها تطهر الروح من الخطيئة الأصلية هو ضرب من الدجل والشعوذة، فالمعمودية بالماء كانت مجرد رمز للمعمودية بالروح القدس والنار، وبعد قيام الإسلام كمملكة الله الرسمية لم يعد لوجودها أي مبرر؛ إذ حلت محلها معمودية الله أي: صبغة الله.

د- من العبارات المتناثرة في الأناجيل عن التعميد لا يمكننا التوصل إلى تعريف محدد عن طبيعته وماهيته كما مارسه يحيى وعيسى، وإن الادعاء أن الكنيسة هي مستودع الإلهام الإلهي، وأنها القادرة على تفسيره هو ادعاء سخيف وعديم المعنى، وشبيه بالادعاء أن الطفل أو الشخص البالغ المتعمد يصبح ابناً لله.

ولقد اتضح لنا أن الكلمة اليونانية Baptismos هي المرادف الدقيق لكلمة (سبعوثا) الآرامية، أي: إن المعمودية ليست مجرد غسيل أو تغطيس أو حمام، ولكنها (سبعوثا) أي: صبغ وتلوين، وكما يُعطي (الصباغ) لوناً جديداً للثوب بغمسه في غلاية الصبغ فإن يحيى المعمدان كان يعطي التائب أو المعتنق الجديد للدين لوناً روحياً جديداً، وهكذا تكون كلمة (صبغة) في القرآن (سورة البقرة

obeikandl.com

الآية 138) قد كشفت الغموض عن نبوءة يحيى، كما أثبتت أن القرآن تنزيل مباشر من الله، وأن الرسول الذي أنزل إليه القرآن هو الذي تنبأ عنه يحيى.

لقد كانت معمودية يحيى وعيسى رمزاً لدخول التائبين في المجتمع الذي تعهد بالولاء لرسول الل؛ إذ كانت المعمودية (السبعوثا) علامة على دين يحيى وعيسى، وكان ذلك تمهيداً لكي يتوقع الجميع قدوم النبي الموعود ويدخلوا دين الإسلام.

هـ- حسب شهادة القديس مرقص (1/4-8) فإن معمودية يحيى كانت تمحو الخطايا؛ إذ يذكر مرقص أن سكان يهودا والقدس ذهبوا إلى يحيى، فعمدهم في نهر الأردن، وهم يعترفون بخطاياهم أي: إن المعمودية محت خطاياهم، ومن المسلّم به عموماً أن إنجيل مرقص هو أقدم الأناجيل الأربعة، ومن المعروف أيضاً أنّ العبارات الاثنتي عشرة الأخيرة التي أضيفت إلى الفصل السادس عشر من هذا الإنجيل (مرقص 16/9-20) لم تكن موجودة في أي من المخطوطات اليونانية القديمة، وحتى في هذه العبارات المضافة لم ترد عبارة (اسم الرب والابن والروح القدس)؛ إذ يقول عيسى ببساطة: (اذهبوا وعظموا العالم بإنجيلي، فمن يؤمن ويعمد ينجُ، ومن لا يؤمن سوف يُلعن) (مرقص 16/15- 16).

obeikandl.com

وبما أنّ معمودية عيسى كانت معمودية يحيى نفسها، وطالما أن معمودية يحيى كانت كافية لغفران الخطايا فلا معنى للقول بأن حَمَل الله يتحمل خطايا العالم (يوحنا 29/1)، وإذا كانت مياه الأردن فعالة لدرجة شفاء «نعمان» من الجذام بوساطة دعاء النبي إليجا (سفر الملوك الثاني /5)، ولدرجة غفران خطايا الجماهير الكثيرة نتيجة تعميدها فلا مبرر لسفك دم (إله) لأجل الغرض نفسه.

وقد ظل أتباع عيسى يمارسون معمدانية يحيى حتى ظهور القديس بولس على مسرح الأحداث، والمعروف أن بولس كان فريسياً من أتباع الطائفة اليهودية المعروفة بالفريسيين ـ وهم مثل السدوقيين ـ قد ندّد بهم كل من يحيى وعيسى وسمياهم (أبناء الأفاعي)، والملاحظ أيضاً أن مؤلف الكتاب الخامس في العهد الجديد المسمى (أعمال الرسل) كان من رفاق بولس، وهو يدّعي أن الذين تعمّدوا على يد يحيى لم يتلقوا الروح القدس، ولذلك تم إعادة تعميدهم ثم ملؤهم بالروح القدس (أعمال الرسل 16/8-17، 2/19-7) ليس عن طريق التعميد باسم عيسى، ولكن بوساطة (وضع الأيدي)! وقد ذكر بوضوح أن معموديتي عيسى ويحيى كانتا متماثلتين في طبيعتهما وفعاليتهما، وأنّ التعميد لم ينتج عنه نزول الروح القدس على الشخص الذي جرى تعميده سواء من قبل عيسى أو يحيى أو باسم أي منهما، ولكن بوضع أيدي الحواريين

على الشخص المعمّد، فإنّ الروح القدس يمس قلبه فيملؤه بالإيمان ومحبة الله، وحتى لو كان ذلك صحيحاً فإن هذه الهبة الإلهية يحتمل أن تكون أعطيت للحواريين فقط، ولا يمكن لخلفائهم المزعومين في الكنيسة أن يدّعوها.

و - وإذا كانت الأناجيل في حديثها عن المعمودية تعني أي شيء فإنها تعطي الانطباع أنه لم يكن هنالك فرق بين المعموديتين سوى أنهما كانتا تُمارسان باسم يحيى أو عيسى، ولكن الفريسي الكبير بولس (شاؤول) لم يذكر كلمة واحدة عن يحيى المعمدان الذي وصم طائفة الفريسيين بالوصف الكريه (أبناء الأفاعي). ونلاحظ لمسة من الحقد ضد يحيى ومعموديته في الملاحظات التي أبداها لوقا في (أعمال الرسل)؛ لأن لوقا كان تلميذاً ومرافقاً لبولس، غير أن إقرار لوقا أنّ المعمودية باسم عيسى لم يكن لها علاقة بالروح القدس يعدّ دليلاً حاسماً ضدّ الكنيسة التي حوّلت التعميد اعتباطاً إلى ألغاز وطقوس سرية. إن معمودية عيسى كانت استمراراً لمعمودية يحيى ليس غير، أما المعمودية بالروح القدس وبالنار فقد اختص بها الإسلام، وإن ما كتبه لوقا في أعمال الرسل عن اثني عشر شخصاً من السامرة لم يتلقوا الروح القدس؛ لأنهم عُمّدوا فقط باسم عيسى (أعمال الرسل 8/16-17) لدليلٌ حاسم على بطلان مزاعم الكنيسة.

openkanal.com

obeikandl.com

الفصل السادس عشر

(صِبْغَةَ الله) أو المعمودية (بالروح القدس وبالنار)

كثيراً ما كنت أعجب من الصابئة الذين انتشر مذهبهم في شبه جزيرة العرب وما بين النهرين، كيف أنهم لم يعتنقوا النصرانية؛ إذ المفروض أن يحيى أعلن على الملأ أن عيسى كان النبي الأقوى منه، وأن عيسى كان المسيح الذي لم يصل يحيى لدرجة تسمح له بحل رباط حذائه؟ (متى 11/3).

فلو كان هو رسول الله الذي تنبأ به يحيى، والذي جاء ليعمد بالروح والنار في الوقت الذي كان عيسى يعمّد الجموع بماء الأردن؛ لو كان ذلك صحيحاً لكان التساؤل: لماذا لم يعمّد بالروح والنار؟ ولماذا لم يتغلب على الوثنية في الأراضي التي وعد الله بها سلالة إبراهيم، ثم يؤسس مملكة الله بالقوة وبالنار؟ وكيف يمكن تفسير أن أتباع يحيى لم يتبعوا عيسى مع أن المفروض أن يحيى قدم عيسى للجمهور على أنه سيده الأعلى منه مرتبة؟ وقد يُعفى أتباع يحيى من الدخول في النصرانية فيما لو جاء عيسى المسيح بعد

قرن مثلاً من مجيء يحيى، ولكن الأمر لم يكن هكذا؛ فقد عاصرا بعضهما بعضاً حتى إنهما وُلدا في العام نفسه وتعمدا بالماء وبشّرا أتباعهما بمملكة الله الوشيكة التي لم تظهر في عهدهما.

لقد كان الصابئة ـ أو الصبّاغون أو المعمدانيون ـ أتباع يحيى المخلصين، ومن المحتمل أنهم وقعوا ضحية الخطأ والأساطير، ولكنهم كانوا يعلمون تماماً أن عيسى لم يكن الشخص المقصود بنبوءة يحيى، وهكذا فقد دخلوا الإسلام عندما جاء محمد، أما أهل حران في سوريا فلم يكونوا من بقايا الصابئة كما يظن بعض الناس، ولكن بما أن المسلمين تسامحوا مع ثلاثة أديان وهي اليهودية والنصرانية والصابئة فقد ادعى الحرانيون أنهم من بقايا الصابئة، ولذلك سمح لهم العثمانيون ممارسة دينهم الغريب دون مضايقة.

يختلف المفهوم الإسلامي واليهودي للروح القدس جذرياً عن المفهوم النصراني، فالروح القدس ليس شخصاً مؤلهاً في إله ثلاثي، والاعتقاد النصراني هو أن الروح القدس أي: ثالث الثالوث ينزل من عرشه السماوي رهن إشارة قسيس من أجل تقديس بعض العناصر وتغيير جوهرها وخصائصها إلى عناصر أخرى فوق الطبيعة كتغيير ماء المعمودية إلى دم إله مصلوب ومحو ما يسمى بالخطيئة الأصلية، أو تحويل العناصر المادية للقربان المقدس إلى دم وجسد إله، إن ذلك منافٍ لعقيدة كل موحد يهودياً كان أم

مسلماً، كما أن هذه الاعتقادات معاكسة تماماً لتعاليم العهد القديم، وهي تزوير للعقيدة الحقيقية ليحيى وعيسى، فالاعتقاد بأن بعض القسيسين يستطيعون تعويذ الأفراد بحيث يحل فيهم الروح القدس، ولكنه لا يضمن عصمتهم خالٍ من أي معنى، وفي سفر أعمال الرسل يقال لنا: إن حنانيا وزوجه سفيرة عُمّدا، وبالتالي امتلأا بالروح القدس ـ الشخص الإلهي الثالث ـ الذي ألهمهما أن يبيعا حقلهما ويضعا ثمنه من النقود، تحت قدمي الحواري بطرس؛ ولكن الشيطان أغراهما بالاحتفاظ بجزء من النقود فكانت النتيجة أن أصابهما الموت المفاجئ (سفر أعمال الرسل 5/1-11)، فكيف يمكن لـ«ثالث الآلهة» أن ينزل على البشر ويقدسهم، ثم يسمح لهم بعدئذ بالخطأ والكفر والزندقة، ويتركهم يقترفون الحروب والمذابح؟ هل يستطيع الشيطان إغراء الإنسان المملوء بالروح القدس فعلاً فيحوله إلى شيطان؟ إن القرآن الكريم واضح جداً في هذه النقطة؛ يقول الله تعالى مخاطباً الشيطان: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (سورة الحجر: الآية 42).

إن الشخص المستقيم يكافح ضد الخطيئة وضد الشر ما دام في هذا العالم المادي، وإذا ما وقع في الزلل نهض ثانية؛ لأن الندم والتوبة هي من عمل الروح الطيبة التي تعيش فينا، أما الكنائس فتقول: إنه إذا عُمّد نصراني بالروح القدس والنار وفق المعنى الذي

obeikandi.com

يتضمنه سفر أعمال الرسل وسواء أكان المعمّد لاتينياً أو يونانياً أو حبشياً أو غير ذلك فإنه لا يصبح قديساً طاهراً فقط بل عالماً ونبياً موهوباً أيضاً.

والحقيقية أنه ليس لدى النصارى مفهوم محدد أو دقيق عن الروح القدس المفترض أن يملأ النصراني المعمّد، فلو كان الروح القدس ثالث الآلهة الذي يحلّ في الشخص ـ كما يقولون ـ لما تجرأ الشيطان على الاقتراب من هذا الشخص المقدس أو شبه المؤلّه وإغرائه وغوايتِهِ، وأكثر من ذلك: كيف يمكن للشيطان أن يطرد الروح القدس، ويحل في القلب المعمّد، فيحوله إلى مجرم وزنديق؟ ولو كان الروح القدس يعني جبريل أو ملاكاً آخر، فإن الكنائس تمعن في الخرافات؛ لأن الملاك ليس دائم الحضور في كل مكان، ولو كانت هذه الروح التي تطهر النصارى المعمّدين هي الله نفسه كما هو اعتقادهم في الشخص الثالث من الثالوث فمن حق جميع النصارى أن يدعوا أنهم مقدسون ومؤلهون.

وهنالك أيضاً مفهوم البروتستانت عن الروح القدس الذي يملأ قلوب الذين يعتقدون أنهم ولدوا من جديد، ثم يتدهور كثيرٌ منهم بعد ذلك، ويعودون كما كانوا من قبل.

والواقع أن الروح القدس مع (الـ) التعريف تعني شخصية مَلَكِيَّةً معينة قد تكون جبريل أو غيره من الأرواح النقية التي أوكل لها أداء عمل معين، وإن نزول الروح القدس على كائن بشري معناه أنه يلقي

إليه الوحي بأمر من الله، فيكون بذلك نبياً يستحيل على الشيطان أن يغويه.

إن التعميد (الصبغ) بالروح القدس والنار الذي جاء به محمد، قد فسّره لنا الوحي الإلهي في الآية الآتية: ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ** ﴿١٣٨﴾﴾ (سورة البقرة: الآية 138).

وقد فهم المفسرون المسلمون - وهم محقون في ذلك - كلمة صبغة ـ ليس بمعناها الحرفي ـ ولكن بمعناها الروحي أو المجازي، وهو (الدين)، وهذه الآية القرآنية تنسخ وتبطل أديان (السبعوثا) و(المعموديثا) أي: أديان الصابئة والنصارى معاً. إن ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ**﴾ هي معمودية دين الله ليس بالماء، ولكن بالروح القدس والنار، وإن الدين الذي آمن به كل مسلم وقت البعثة الإسلامية هو الدين نفسه بتفاصيله كافة الذي يعتنقه اليوم كل مسلم، في حين لا يمكننا أن نقول الشيء نفسه عن النصرانية، لقد انعقد حتى الآن أكثر من ستة عشر مجمعاً كنسياً مسكونياً بغرض تحديد وتعريف الديانة المسيحية، وفي النهاية يكتشف مجمع الفاتيكان عام 1854م أن السيدة العذراء قد حملت بلا خطيئة، ويكشف أيضاً في العام 1870م أن البابا معصوم عن الخطأ، كل ذلك مما لم يكن معروفاً للحواري بطرس ولا للسيدة مريم العذراء!

إن أي دين يعتمد على مداولات وقرارات المجامع المقدسة أو غير المقدسة هو دين من صنع البشر.

obeikandi.com

ونعود إلى موضوع المعمودية: إن المعمودية الروحية ليست سوى الهداية الإلهية، فكما يصبغ الصباغ الصوف أو القطن بصبغة تعطيه لوناً جديداً، وكما يمحو المعمدان الخطايا السابقة للمؤمن الحقيقي التائب فإن الله تعالى لا يصبغ الجسد، بل يصبغ روح الشخص الذي يتولاه برحمته، فيهديه إلى الإسلام.

تلك هي صبغة الله (معمودية الله) التي تجعل المسلمين الحقيقيين جادين ومواظبين على واجباتهم تجاه الله وتجاه رفاقهم من البشر وتجاه أسرهم دون أن يدفعهم ذلك إلى حماقة الاعتقاد بأنهم أفضل من معتنقي الديانات الأخرى؛ ليستأثروا عليهم أو يتخذوا لأنفسهم مركز السيادة على الآخرين، فالتعصب والغرور الديني ليسا من صفات الإسلام، كما أن المسلم ليس بحاجة إلى وساطة من رجل دين، فكل مؤمن متعلم يمكن أن يصبح إماماً أو داعية أو واعظاً بحسب تعليمه وحماسه الديني، وباختصار فإن كل مسلم سواء ولد على الإسلام أو اعتنقه بعد ذلك يطهر روحياً، ويصبح مواطناً في مملكة الله.

لقد نسب يحيى هذه المعمودية بالروح والنار لرسول الله العظيم ليس باعتباره كائناً إلهياً أو إلهاً أو ابن إله، ولكن باعتباره رسولاً من الله ووسيلة عن طريقها يتم الصبغ الإلهي، لقد بلّغ محمد رسالة الله، وكان يؤم الصلوات، ويؤدي الشعائر الدينية، ويخوض الحروب ضد الكفرة الوثنيين للدفاع عن الإسلام، ولكن النجاح والنصر

اللذين تحققا كانا من عند الله، وبالطريقة نفسها وعظ يحيى الناس، ولكن قبول التوبة والكفارة وغفران الخطايا لم تكن من عنده، ولكن من عند الله، وإن نبوءة يحيى (إن الذي يأتي بعدي أقوى مني، وسوف يعمدكم بالروح والنار) (متّى11/3) قد تحققت ونفذت على يد محمد فقط.

ومن الواضح أن شكل ومضمون هذه المعمودية غير حسّي؛ لأنه متعلق بأمور الغيب؛ فنحن نشعر بالإثارة المترتبة على مسبب حقيقي، لكنه غير ملموس؛ فالماء لم يعد هو المادة الظاهرية المسببة، كما أنه لم يعد هنالك حاجة إلى معمدان، ولكن الله هو الذي يهدي من يشاء الهداية، وحسب نبوءة يحيى فإن وسائل (صبغة الله) هي الروح القدس والنار، أما طريقة الصبغِ فهي خاصة بالله وحده، ولا نستطيع أن نعزو إليه تعالى عملاً ما سوى قوله للشيء (كن فيكون)، ولكننا نستطيع أن ندرس النتائج المترتبة على صبغة الله ومنها:

1 - أن الروح القدس سواء كان جبريل أو غيره من المخلوقات العليا يبارك روح المسلم عند مولده أو عند دخوله الإسلام، وهذه المباركة تعني:

أ- تثبيت الإيمان بإله حقيقي واحد: إن صبغة الله تجعل روح المسلم تؤمن بوحدانية الله المطلقة، وتعتمد على الله، وتعترف به وحده سيداً ومالكاً ورباً.

ب- صبغة الله تطبع روح المسلم بالحب والخضوع لله وحده، إن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به شيئاً أو كائناً ما كان من الكائنات، وحب المسلم لله ليس نظرياً أو مثالياً بل هو واقعيّ يترجم إلى أعمال.

جـ- الاستسلام الكامل لمشيئة الله النابع من الإيمان والمحبة والتقوى.

2 - أن المعرفة الحقيقية بالله وبمشيئته بالقدر الذي يمكن للبشر أن يحيطوا بها لا تشاهد إلا عند المسلمين.

إن جوهر الذات الإلهي أمر لا يمكن الإحاطة به، ولكن كما أن الرضيع يعجز عن فهم طبيعة والديه وشخصيتهما فإنه مع ذلك يعرف أمه من بين جميع النساء الأخريات، وهذا التشبيه دون الحقيقة بكثير، إن كل مسلم يرى في كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة آية تدل على الخالق، فالله حاضر في ذهنه دائماً، وشهادة أن لا إله إلاّ الله هي إنكار أبدي لأي معبود آخر غير الله، واحتجاج أبدي ضد الذين يشركون بالله شيئاً أو أشياء، وإقرار وشهادة أن الله وحده هو المستحق للعبادة دون غيره.

3 - إن المعمودية بالنار هي صبغة الله التي تحصّن المسلم ضد الباطل وضد الخرافات وضد الوثنية من الأنواع كافة، وهي تذيب نفس المسلم وروحه كي تفصل عنصرها الذهبي الخالص عن الشوائب، وهي قوة الله التي توطّد العلاقة بين العبد وبين خالقه، وتعدّه لنشر رسالته.

obeikandl.com

الفصل السابع عشر

البرقليط ليس الروح القدس

نناقش الآن «البرقليط» الذي ورد في الإنجيل الرابع (يوحنا 6/14، 26/14، 26/15، 7/16) (يوحنا 1/2)، لقد أعلن عيسى المسيح ـ كما أعلن يحيى ـ قدوم مملكة الله، ودعا الناس إلى التوبة، وعمّدهم لتكفير الخطايا، وبلّغ الرسالة إلى بني إسرائيل، ولم يكن هو مؤسساً لمملكة الله والبرقليطوس Periqlytos ليس عن طريق الكتابة ولكن مشافهةً بالمواعظ العامة التي انتشرت بين الناس خلال وجوده على الأرض، ثم بعد ذلك صارت التعاليم والأقوال المنسوبة إليه عن طريق الكتابة، وتحول عيسى في هذه الكتابات من السيد والمعلم حتى صار الكلمة الإلهية ثم ابن إله، وتحول من سلف البرقليطوس إلى سيده ورئيسه.

وهكذا أخذت كلماته النقية الصادقة تتشوه تدريجياً بالأساطير والخرافات، وكانوا يتوقعون منه أن ينزل في أي لحظة من السحاب مصطحباً معه جيشاً من الملائكة لتحقيق مملكة الله على الأرض، وبالطبع فإن شيئاً من ذلك لم يحدث، ثم توفي الحواريون، وتأخر

obeikandl.com

المجيء الثاني الذي كانوا يتوقعونه لعيسى، فنشأ عن شخصه وتعاليمه آراء دينية فلسفية جديدة، وظهرت الملل والنِّحَلُ والأناجيل المتعددة والرسائل، وتخاصم المدافعون عن النصرانية، وانتقدوا نظريات بعضهم بعضاً، ولو كان هناك إنجيل مكتوب في أثناء وجود عيسى أو كتاب مُجاز من قبل مجموعة الحواريين بعده لكانت رسالة المسيح قد احتفظت بنقاوتها وصحتها بعده حتى ظهور البرقليطوس (أحمد)، ولكن الأمر كان على النقيض من ذلك؛ إذ تفرق الكتّاب والحواريون بعد المسيح، واتخذ كل منهم منهجاً خاصاً به فيما يتعلق بعيسى ورسالته، ووصفه كل منهم في كتابه الخاص الذي سماه «الإنجيل gospel» أو «الرسالة epistle» وفق أفكاره الخاصة وتصوراته، حتى إننا نلاحظ الخيال البعيد في الإنجيل الرابع حول ما تعنيه «الكلمة» والنبوءة عن «البرقليط» والحديث الغامض المنسوب إلى عيسى عن «لحمه ودمه» وسلسلة من المعجزات والأحداث والأقوال مما لم يكن مسجلاً ولا معروفاً لدى كُتّاب الأناجيل الأخرى، ناهيك، أن ذلك لم يكن معروفاً لدى الغالبية العظمى من النصارى الذين لم يروا الإنجيل الرابع في حياتهم، ولم يقرؤوه لنحو قرنين من الزمن بعد المسيح.

والإنجيل الرابع مثل بقية الكتب والأسفار في العهد الجديد كُتب باليونانية وليس بالآرامية التي كانت اللغة الأم للمسيح والحواريين معاً، وبالتالي فإننا نجابه مشكلة كالتي واجهتنا عند

obeikandi.com

البحث في كلمة «يودوكيا Eudokia» الخاصة بـ«لوقا»، وهي تتلخص في السؤال الآتي: ما هي الكلمة الحرفية التي استخدمها المسيح بلغته الأصلية والتي نقلها الإنجيل الرابع بلفظ «البرقليط»، ثم تُرجمت خطأ إلى «المعزّي» في جميع تراجم ذلك الإنجيل؟

وقبل مناقشة اشتقاق كلمة «البرقليط» المحرّفة من الضروري إلقاء بعض الضوء على أحد الملامح الخاصة بإنجيل يوحنا (الإنجيل الرابع). إن مناقشة تأليف وصحة هذا الإنجيل هي من المسائل التي تخص علوم نقد الكتاب المقدس، غير أنه يستحيل التصديق أن الحواري يوحنا كتب هذا الإنجيل كما هو موجود بين أيدينا اليوم من حيث شكله ومحتواه، فالمؤلف سواء كان يوحنا بن زيدي أو غيره يبدو ملمّاً بتعاليم الفيلسوف اليهودي «فيلون Phil-on» فيما يتعلق بـ«الكلمة Logos».

ومن المعروف أن فتح الإسكندر الكبير لفلسطين وتأسيسه الإسكندرية (332ق.م) بدأ عصراً جديداً في الثقافة والحضارة؛ إذ بدأ تلاميذ النبي موسى يجتمعون مع تلاميذ الفيلسوف اليوناني إبيقور Epicurus، ونتج عن احتكاكهم التفاعل الهائل بين التعاليم الروحية التوراتية وبين المادية الوثنية اليونانية، وأصبحت الفلسفة اليونانية موضع إعجاب ودراسة كبار علماء الشريعة اليهودية في فلسطين ومصر مما أصاب أحبار اليهود بالهلع، فاللغة العبرية أصبحت مهملة لدرجة أن كتب العهد القديم صارت تُقرأ بالترجمة

السبعينية (اليونانية) مما جعل أحبار اليهود يعيدون دراسة شريعتهم بغرض الدفاع عنها ضد الروح الجديدة الغازية، كما حاولوا أن يجدوا طريقة جديدة لتفسير العهد القديم تحقق التقارب، وتوفّق بين الشريعة اليهودية وبين الفكر الهلسيني اليوناني؛ لأن أسلوبهم في التفسير الحرفي للشريعة صار يعدّ جامداً، ولم يصمد أمام المنطق الجذاب لأفلاطون وأرسطو، غير أن نشاط اليهود وتعصبهم أثار ضدهم حسد وكراهية اليونان، وقد تجلى ذلك مثلاً في كتابات الراهب المصري «مانيثو Manetho» وافتراءاته ضد اليهودية في زمن الإسكندر الكبير، ثم تجددت تلك الافتراءات وزادت حدتها من قبل الخطيب الشهير «أبيون Epion» في زمن الإمبراطور «طيباريوس Tibaruis»، وهكذا سممت الخطابات والكتابات عقول الناس، مما سبب فيما بعد الاضطهاد الوحشي لكل من آمن بإله واحد حق.

وكانت الطريقة الجديدة التي ابتكرها اليهود في تفسير كتبهم مجازية اشتملت على أفكار ورموز سرية سرعان ما تحولت إلى فلسفة يهودية جديدة، ادّعت لنفسها مكانة العهد القديم، وكان أبرز رجل جسّد هذه الفلسفة الجديدة هو «فيلون Philon» الذي ولد من أسرة يهودية ثرية في الإسكندرية سنة 25ق.م، وقد كتب مؤلفاته المجازية بأسلوب يوناني أنيق، وكان ضليعاً بفلسفة أفلاطون، كما كان يؤمن بأن تعاليم الوحي تتفق مع أسمى أنواع المعرفة والحكمة

البشرية، وكان أكثر ما يشغل فكره موضوع التعامل الإلهي مع البشر والكائنات الأرضية، وعلى غرار نظرة «الأفكار» لأفلاطون اخترع فيلون سلسلة من الأفكار الوسيطة سماها «الفيض الإلهي»، وعدّها حلقات تصل بين الله وبين العالم، وجعل العنصر الأساسي في هذه الأفكار «الكلمة Logos» التي تشكل حسب رأيه الحكمة العليا المخلوقة في الكون، وهي أسمى تعبير عن عمل العناية الإلهية.

وهكذا نشأت المدرسة الإسكندرية نتيجة انتصار اليهودية على الوثنية اليونانية، ولكن كما يقول كبير الأحبار «بول هاجناور» في كتابه الماتع «دليل الأدب اليهودي» ـ Manuel de Litterature Juive, Nancy 1927 ـ بالصفحة 24: (لقد انبثق عنها فيما بعد أنظمة مؤذية لليهودية) وفي الواقع إنها مؤذية وهدامة لليهودية والنصرانية معاً.

وهكذا نرى أن أصل نظرية الكلمة Logos يعود إلى فلسفة فليون، ثم بعده بحوالي قرنين من الزمن قام الحواري يوحنا ـ أو مؤلف الإنجيل الرابع كائناً من كان ـ بتأكيد فلسفة فليون التي انبثقت في الأصل من الفكر العبقري لأفلاطون.

وكما لاحظنا في الفصل الأول من هذه الحلقات فإن «الكلمة الإلهية» معناها «كلمة الله» وليس «الله الكلمة»؛ لأن الكلمة هي صفة المتكلم، ولا شك في أنها ليست المتكلم نفسه، والكلمة الإلهية ليست خالدة؛ فقد كان لها بداية، وهي قطعاً ليست الأصل، فلو

obeikandl.com

صحّ لنا أن نقول: «الله الكلمة» فلماذا لا ندعي أيضاً أن «الله الرحمة» وأنَّ «الله محبة» وأن «الله انتقام» إلى آخر ذلك من جعل الصفات هي الله نفسه؟! إنني أستطيع أن أفهم لقب المسيح بأنه «روح الله» ولقب موسى «كلمة الله» ولقب محمد «رسول الله» ولكنني قطعاً لا أفهم ولا أقبل أن الروح أو الكلمة أو الرسول هو شخص مؤلّه ذو صفات إلهية وبشرية معاً.

والآن سوف نكشف الخطأ المسيحي حول «البرقليط»، وسوف أبرهنُ أنَّ البرقليط ليس الروح القدسَ كما تعتقد الكنائس المسيحية، وأنَّ كلمة (البرقليط) لا تعني المعزي أو الشفيع، ثم في الفصل التالي سوف أبين أن المعنى الحقيقي لها هو (أحمد) بمعنى أكثر حمداً وأكثر جدارة بالثناء، وتُكتب Periqlite وليس برقليط Paraclete.

1- الروح القدس المذكور في العهد الجديد ليس شخصاً قائماً بذاته:

عندما ندرس العبارات التي وردت في العهد الجديد عن الروح القدس يتبين أنه ليس الشخص الثالث في الثالوث، ناهيك عن أنه ليس شخصاً قائماً بذاته، وهذه نقطة أساسية، في حين أن البرقليطوس الذي تنبأ به عيسى هو شخص قائم بذاته، وهذه نقطة أساسية جداً؛ لأنها تنفي بصورة نهائية فرضية الكنيسة بأن البرقليطوس هو الروح القدس.

obeikandl.com

أ- ورد في إنجيل لوقا على لسان عيسى أن الروح القدس (هبة) من الله، وعلى سبيل المقارنة يذكر أنه حتى الآباء الأشرار يعطون أولادهم هبات طيبة؛ فبالأحرى أن الله تعالى يعطي الروح القدس لمن يسأله ذلك من المؤمنين، وهذه المقارنة تستبعد بصورة نهائية وجود أي شخصية للروح؛ إذ هل يعقل أن المسيح كان يقصد إفهام سامعيه أن (الله الأب) يقدم (الله الروح القدس) هبة (لأبنائه) في الأرض؟ فهل قال عيسى أو لمح قط بأن الشخص الثالث في الثالوث هو هبة الشخص الأول؟ وهل كان ممكناً أن يؤمن الحواريون أن هذه الهبة كانت هي الله تعالى نفسه الذي قدمه الله تعالى للبشر؟ إن مجرد التفكير بذلك يسبب الرجفة لدى المسلم.

ب- يصف سفر الكورنثيين الأول (2/11-12) الروح القدس بصيغة المحايد (الروح من الله) فهو ليس مؤنثاً ولا مذكراً، ويذكر بولس بوضوح ما يأتي: (حيث إن روح المرء هي التي تمكنه من معرفة ذاته كذلك فإن روح الله تمكن المرء من معرفة الأمور الإلهية)، وهكذا فإن الروح القدس ليس إلهاً، ولكنه مجرد وسيلة ينزّل الله بوساطتها العلم والنور والإلهام على من يشاء من عباده، أي: هو مجرد تأثير من الله على الإنسان نفسه وعقله. لقد حدد بولس في هذه العبارة أنَّ

الروح الإنسانية لا يمكن أن تدرك كنه الحقائق الإلهية إلا عن طريق روح الله أي: الإلهام والتوجيه الإلهي.

جـ- مرة أخرى في سفر الكورنثيين الأول (19/6) يقول بولس: (ألا تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم والذي تلقيتموه من الله؟) وهذا دليل آخر على أن الروح القدس ليس شخصاً ولا ملاكاً، ولكنه كلمة الله وسلطته ودينه، فهو يقارن جسد الإنسان التقي وروحه بالمعبد المخصص لعبادة الله تعالى.

د- في رسالة بولس إلى رومية (9/8) يطلق على هذه الروح التي «تعيش» داخل المؤمن اسم «روح الله» وأحياناً «روح المسيح» مما يعني ببساطة العقيدة ودين الله الصحيح الذي أعلنه عيسى المسيح، ومن المؤكد أن هذه الروح لا يمكن أن تعني الفكرة المسيحية للروح القدس أي: (ثالث ثلاثة)، ومثال قولُ المسلمين إنهم يحاولون تنظيم حياتهم وفق «روح محمد» بمعنى الإخلاص لدين الله بالطريقة نفسها التي كان عليها خاتم الأنبياء والرسل؛ لأن الروح الطاهرة في محمد وفي عيسى وفي كل نبي من الأنبياء ليست سوى روح من الله تبارك وتعالى، وهي على النقيض من الروح القدس التي يتصورونها ليست إلهاً ولا شخصاً مقدساً، وإنما نور إلهي يهدي الله به من يشاء له الهداية من عباده.

obeikandl.com

هـ - حتى لو كانت الصيغة الإنجيلية «باسم الأب والابن والروح القدس» صحيحة ومقبولة من المسيح ـ وهو الشيء الذي لم يكن ـ فإن قبولها كصيغة للإيمان يفترض أن يتوقف مع نزول الإسلام الذي هو مملكة الله الحقيقية على الأرض، والله تعالى - كونه خالق الجميع - يعدّ «مجازاً» أباً لكل البشر، وليس أباً لشخص بعينه أيّاً كان ذلك الشخص.

والمستشرقون يعرفون جيداً أن الكلمة السامية: (أب) و(أبّا) التي ترجمت إلى (والد) معناها (الشخص المثمر أو المنتج)؛ لأن (أبّا)[1] معناها الثمار لكن القرآن الكريم أحجم عن استعمال هذه الكلمة كوصف للخالق؛ لأن النصرانية أساءت استعمالها، ومن وجهة نظر توحيدية إسلامية بحتة فإن الاعتقاد المسيحي بالوجود الأزلي للابن أو ولادته الأزلية ليس سوى كفر.

وسواء أكانت الصيغة التثليثية صحيحة أو زيفاً فإنني أعتقد أنها تتضمن حقيقة ما؛ لأن الإنجيليين لم يسمحوا باستعمالها في أي صلاة دينية أو مناسبة دينية سوى المعمودية، وهي نقطة تثير الانتباه؛ إذ إن يحيى تنبأ عن المعمودية بالروح القدس والنار حيث المعمّد المباشر هو الله تعالى، والوسيط هو ابن الإنسان (البرناشا) المذكور في رؤيا دانيال، والروح القدس هو السبب المادي لصبغة

(1) قال تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ (سورة عبس، الآية: 31).

obeikandl.com

الله، ويحتمل أنه جرت الاستعانة بكلمة أب قبل أن تُسيءَ الكنيسة استعمالها.

إن صبغة الله هي ميلاد جديد في ظل الإسلام حيث المعمّد الذي يسبب هذا الميلاد الجديد هو الله، وإن ولادة المرء في ظل الإسلام يعدّ أعظم منّةٍ من الأب السماوي ((حسب التعبير الإنجيلي)).

أما الاسم الثاني في الصيغة التثليثية وهو (الابن) فإن المرء يقع في حيرة لمعرفة ابن من هو؟ فلو كان الله هو (الأب) كما يقولون فأي من أبنائه (مخلوقاته) الذين لا حصر لهم هو المقصود؟ لقد علّمنا عيسى أن نصلي قائلين: (أبانا الذي في السماوات) وهكذا فإن جميع البشر أبناؤه بمعنى مخلوقاته، وبالتالي فإن ذكر كلمة (ابن) في الصيغة التثليثة يصبح سخيفاً غير ذي معنى، أمّا لقب (ابن الإنسان) أو (البرناشا) فقد ورد ثلاثين مرة في أحاديث عيسى المنسوبة إليه في الأناجيل، ولكن القرآن الكريم لا يذكر عيسى قط على أنه (ابن الإنسان)، بل يدعوه (ابن مريم)، ومن المستحيل أن يكون عيسى قد أطلق على نفسه لقب ابن الإنسان أو ابن الرجل؛ لأنه كان ابن امرأة ولا مفر من هذه المعجزة، وبإمكانكم أن تدّعوا أنه ابن إله كما تفعلون بحماقة دائمة، لكنكم لا تستطيعون الادعاء أنه ابن الإنسان إلا إذا نفيتم المعجزة، وادَّعيتم أنه ابن يوسف النجار أو غيره، مما يضفي عليه ـ معاذ الله ـ وصمة اللاشرعية.

وهكذا فقد اقتنعت بداهة أن الاسم الثاني في الصيغة التثليثية هو التحريف المشؤوم لعبارة ابن الإنسان أي: (البرناشا) المذكور في الفصل السابع من سفر دانيال، وهو ليس سوى النبي الأحمد (البرقليطوس) المذكور في إنجيل يوحنا.

أما الروح القدس في تلك الصيغة فهو ليس شخصاً أو روحاً معينة، بل هو قدرة الله أو وسيلته التي يولد الإنسان بها مسلماً أو يهتدي بها إلى الإسلام.

2 - ماذا قال الآباء النصارى عن الروح القدس؟

أ - يفهم هرماس أن الروح القدس يعني العنصر الإلهي في المسيح ـ الابن الذي خُلق قبل كل الأشياء ـ ودون الدخول في نقاش عقيم حول إن كان هرماس يخلط بين (الروح القدس) و(الكلمة) أو أن الروح القدس عنصر خاص قائم بذاته يختص بالمسيح، فإنه يقول: إن المسيح خُلِقَ قبل كل شيء أي: في البداية، وإن الروح حسب اعتقاد هرماس ليست شخصاً.

ب- جوستين ـ المسمى بالشهيد (100-167م) Justin the

(1) إبليس: الصيغة العربية للكلمة الآرامية (بليسا)، وهي صفة الشيطان، ومعناها المسحوق أو المقهور.

Martyr- وتيوفيلُس Theophilus (120-180م) يفهمان الروح القدس على أنها تعبير غريب عن (الكلمة)، وأحياناً (صفة إلهية)، ولكنها قطعاً ليست شخصاً إلهياً، ويجب أن نتذكر أن هذين الكاتبين والأبوين اليونانيين اللذين عاشا في القرن الثاني لم يعرفا شيئاً عن الروح القدس الخاص بمعتقدي التثليث الذين ظهروا بعدهما في القرن الرابع.

جـ- يعرّف أثيناغوراس Athenagoras (110-180م) الروح القدس بأنه شعاع من الله يصدر عنه، ويعود إليه كأشعة الشمس، ويقول أيرينايوس Irenaeus(130-202م): إن الروح القدس والابن خادمان لله، تخضع لهما الشمس، ويقول أيرينايوس Irenaeus (130-202م): إن الروح القدس شاسع لا يحتاج لتعليق. ولكن العجيب أن يقوم مجمع نيقية بعد حوالي قرنين من الزمن برفع هذين الخادمين، أي: الابن والروح القدس إلى رتبة الإله نفسه الذي خلقهما.

د- كان ألمع وأعلم الآباء الناقضين لعقيدة مجمع نيقية (325م) التي ظهرت بعده هو أوريجن Origen (185-254م) مؤلف الهكسبلا Hexepla وهو يعطي شخصية للروح القدس، غير أنه يجعله من مخلوقات الابن.

والخلاصة أن النظرية المتعلقة بهذه الروح القدس لم تكن متبلورة بصورة كافية سنة 325م عندما انعقد مجمع نيقية، ولذلك لم يحددها المجمع، وهكذا تأجل الإعلان عن الشخص الثالث في الثالوث إلى عام 386م عندما انعقد المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية، فقرّروا أنه مشترك مع الأب والابن في المادة والزمن!!

3 - **إن كلمة البرقليط Paraclete لا تعني المعزّي ولا المحامي:** وهذه الكلمة غير كلاسيكية وغير معروفة؛ لأن التهجئة اليونانية للكلمة هيParaklytos، وقد جعلتها كتابات الكنيسة تعني (شخصاً يدعى للمساعدة، محامياً، وسيطاً) (انظر القاموس اليوناني ـ الفرنسي تأليف Alexandre)، لكن البدهي أن الكلمة اليونانية التي تقابل معنى المعزّي ليست باراكليتوس Paraklytos بل هي باراكالون Parakalon، وذلك واضح أيضاً من الترجمة السبعينية اليونانية التي ترجمت كلمة (مناحيم) العبرية التي تعني المعزّي إلى باراكالون (سفر مراثي إرميا 2/1، 9، 16، 17، 21 إلخ)، وهناك كلمة يونانية أخرى مرادفة لكلمة معزّي، وهي باريجوريتس Parygorytys مشتقة من (أنا أعزّي).

أما المعنى الآخر وهوالوسيط أو المحامي الذي تعطيه الأدبيات الكنسية لكلمة برقليط فإن الكلمة اليونانية التي تؤدي المعنى هي

أيضاً باراكالون، وليست باراكليتوس، وهنالك أيضاً كلمةSunegorus اليونانية التي تعني المحامي، وكلمة meditia التي تعني الوسيط أو الشفيع.

وبهذه المناسبة أود تصحيح خطأ وقع فيه عالم فرنسي آخر هو أرنست رينان، ففي كتابه الشهير «حياة المسيح» يترجم كلمة (برقليط Paraclete) المذكورة في الإنجيل الرابع إلى (المحامي)، ويستشهد بالصيغة السريانية الكلدانية Peraklit، وهي عكس كلمة المدّعي Ktighra المشتقة من Kategorus، غير أن الاسم السرياني للمحامي أو الوسيط هو (مسعايا) ولكن في المحاكم يستخدمون كلمة Snighra بمعنى المحامي، وهي مشتقة من الكلمة اليونانية Sunegorus.

ويرى كثير من السريان غير الملمّين باليونانية أن كلمة (برقليطا) المذكورة في ترجمة (البشيتا) الآرامية مكونة من كلمتين هما: (برق) أي: ينقذ ويخلّص، و(ليطا) ومعناها الملعون، مما يتضمن الفكرة القائلة: إن المسيح هو (المخلّص من اللعنة) مما جعل بعضهم يعتقدون أن هذه الكلمة اليونانية هي آرامية في الأصل، كما هي الحال في الجملة اليونانية Maran Atha التي يقابلها في الآرامية (ماران آثي) ومعناها (سيدنا آتٍ) (1يوحنا 22/16) مما يبدو أنه تعبير بين المؤمنين يتعلق بقدوم خاتم الأنبياء والرسل. وإن عبارة (ماران آثي) هذه بالإضافة للصيغة المعمدانية تحويان نقاطاً مهمة

لا يجوز إغفالها، وتستحقان دراسة خاصة؛ لأنهما تجسدان علامات ودلائل ليست في صالح تفسير الكنيسة لهما.

ولمدة قرون طويلة كتب الأوربيون واللاتينيون الجهلة اسم محمد على شكل Mahomet، واسم موسى على شكل mushi، فهل من عجب أن يكون أحد الرهبان النصارى أو النسّاخين قد حرّف اسم (أحمد periqlytos) إلى paraklytos؟ لأن الحقيقة أن أحمد يعني الأشهر أو الأجدر بالحمد، أما الكلمات المحرفة التي ابتدعوها فلا تعني سوى العار لأولئك الذين جعلوها تحمل معنى المعزّي أو المحامي منذ ثمانية عشر قرناً.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثامن عشر

البرقليطوس يعني أحمد

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (سور الصف، الآية: 6).

(وسوف أطلب من الأب وسوف يعطيكم برقليطوس آخر إلى الأبد) (يوحنا16/14).

يلاحظ التفكك في هذه العبارة من إنجيل يوحنا المنسوبة إلى عيسى المسيح؛ إذ توحي بأن (برقلبطا) أو (برقليطات) قد جاؤوا في السابق، وأن (برقليطياً) آخر سوف يأتي بناء على طلب عيسى، كما يظهر من العبارة أن الحواريين كانوا على بينة من هذا الشخص المسمى في النص اليوناني برقليطوس؛ لأنه لو لم يكن الأمر كذلك لكانت كلمة (آخر) ـ التي تلي اسما أجنبياً يذكر لأول مرة ـ مصطنعة ولا لزوم لها، ومن المؤكد أن النص قد تعرض لتشويه؛ فهو يدعي أن الأب سوف يرسل (البرقليطوس) بناءً على طلب المسيح،

وإلا فـإن (البـرقليطوس) لن يأتي؛ مما يدل على أن كلمـة (اطلب) مـصطنعة أيضـاً؛ لأنهـا تظهـر بصورة كـاذبة لمسـة من الوقـاحـة من جانب المسيح، وإذا أردنا أن نجد المعنى الحقيقي لهذا النص فعلينا استبعاد التحريف منه ليصبح كما يأتي: (وسوف أذهب إلى الأب وهو سيرسل لكم رسولاً آخر ـ أو الرسول الأخير ـ سيكون اسمه البـرقليطوس، ويبـقى مـعكم إلى الأبد) وبهـذا الشكل يعـود تواضع المسيح الذي عرف عنه كما يتحدد (البرقليطوس) بشكل واضح.

وقـد رأينا في الفـصل السـابقِ أن (البـرقليطوس) ليس روح القدس ولا شخصاً إلهياً ولاجبريل ولا غيره من الملائكة، وسوف نرى الآن أنه ليس معزياً ولا محمياً أو وسيطاً بين الله وبين البشر:

1 – (البـرقليطوس) ليس (المعـزي) ولا (الوسـيط)، والمسـيح لم يستخدم كلمـة بارقلون Parakalon اليـونانيـة قطعـاً، كمـا أن فكرة التعزية أو الوساطة ليست مقبولة أصلاً للأسباب الآتية:

أ – اعتقاد الكنيسة أن موت عيسى على الصليب أنقذ المؤمنين من لعنة الخطيئة الأصلية وأن حضوره الدائم في القربان المقدس سيبقى مع المؤمنين إلى الأبد، هذا الاعتقاد ترك النص دون حاجة إلى عزاء أو مجيء معز، وبالمقابل لو أنهم كانوا بحاجة إلى معز فإن جميع الادعاءات حول تضحية المسيح من أجل إنقاذ المؤمنين تصبح عديمة المعنى ولا لزوم لها، والعجيب أن لهجة الأناجيل والرسائل لا تترك

أي مجال للشك بأن المجيء الثاني لعيسى من فوق السحاب كان وشيكاً (متى 28/16، مرقص 1/9، لوقا 27/9، يوحنا 18/2، تيموثي 1/2، تيسالونيكي 3/2...إلخ)

ب- العزاء لا يعوضُ الخسارة، فالرجل الذي فقد ابنه أو شيئاً عزيزاً عليه لن يستعيد ما فقد لمجرد التعزية، وإن مجيء المعزي بعد أن يكون عيسى قد ذهب ليس إلا إحباطاً للآمال كافة بانتصار مملكة الله، والتعزية لو حصلت لوصلت بالحواريين إلى حالة من اليأس والانهيار؛ لأنهم لم يكونوا بحاجة إلى معزّ بل إلى محارب مظفر ينتصر على الشيطان وأعوانه.

جـ - أما فكرة الوساطة بين الله والناس فهي أكثر غرابة من فكرة التعزية؛ لأن الله تعالى لا يحتاج إلى وسيط بينه وبين مخلوقاته، وإن وسيطنا الوحيد هو عقيدة التوحيد، لقد نصح المسيح أتباعه أن يدخلوا إلى بيوتهم ويغلقوا الأبواب ويصلوا إلى الله سراً، وعند ذلك فقط يستمع (أبوهم الذي في السماء) لصلواتهم ويستجيب لدعائهم، فكيف يمكن التوفيق بين ذلك وبين فكرة الوساطة؟

د- الأنبياء والملائكة والمؤمنون يصلون ويدعو بعضهم لبعض في صلواتهم، ومن واجبنا في الصلاة أن ندعو لأنفسنا

openkandil.com

ولغيرنا بالرحمة والخير، ولكن الله تعالى ليس مضطراً لقبول شفاعة أحد، ولو قبل شفاعة عبده محمد لتحول جميع البشر إلى الإسلام.

إن القران الكريم ينفي فكرة الشفاعة تمامًا في آيات عدة، ومع أننا لا ندري على وجه اليقين فمن المحتمل أنه تعالى قد يمكن بعض الملائكة والأنبياء والأولياء من مساعدة بعض، وقد تكون فكرة محام مدافع عن وكيله أمام محكمة الله فكرة مدهشة (يوحنا 1/2) ولكنها خاطئة؛ لأنَّ الله ليس قاضياً بشرياً عرضةً للانفعالات والجهل والتحيز، وهو يعرف نفوسنا وقلوبنا أكثر من معرفتنا بها وبالتالي فلا محل للشفاعة والوساطة ولا الداعي لهما. إن الاعتقاد بالوساطة والشفاعة يعكر الصفاء الروحي بين المرء وربه، ويقود بعض الناس إلى عبادة الأضرحة والتماثيل وتقديس رجال الدين وصور الأنبياء والأولياء والاعتقاد بالخرافات، كل ذلك مما يزيد في نفوذ القديس والراهب أو القسيس أو رجل الدين؛ إذ ينمو عندهم ولدى العوام شعور بأنهم أولياء وأصحاب شأن على الناس، ويزداد جشعهم، ويقبلون على جمع الأموال الضخمة بدعوى هداية الناس إلى دينهم، وينشئون الإرساليات التنصيريّةَ الغنية في حين أن معظمهم جواسيس لحكوماتهم؛ وقد كانوا سبب المصائب التي حلت بالأرمن واليونان والآشور والكلدان في تركيا وإيران بسبب تعليمات الخيانة والثورة التي صدرت عن الإرساليات الأجنبية في المشرق.

obeikandl.com

والآن بعد أن تبين أن (البرقليط) المذكور في إنجيل يوحنا لا يعني ولا يمكن أن يكون معزياً ولا محامياً ولا وسيطاً، وأن الكلمة قد جرى تشويهها من كلمة (برقليطوس) periqlytos، لذا نشرح الآن المعنى الحقيقي للكلمة الأصلية.

2 – إن كلمة (برقليطوس) تعني من الناحية اللغوية البحتة (الأمجد والأشهر والمستحق للمديح)، وقد ورد ذلك في القانون اليوناني الفرنسي لمؤلفه الكسندر:

Alexander: periqlytos= qu'on peut entender de tous les cotes; qu'il est facile a entender tres celedre periqleitos = tres celebre illustre glorieux = periqleys tres celebre illustre gloriuex = from Kleitos gloire renommee celebrite

والاسم مركب من مقطعين الأول peri والثاني Kleitos مشتق من التمجيد والثناء؛ ويكتب periqlytos أو periqleitos مما يعني تماماً اسم أحمد باللغة العربية أي: أكثر ثناء وحمداً، ولنا الآن أن نتساءل: ما هي الكلمة الأصلية التي استخدمها عيسى المسيح بلغته العبرية أو الآرامية ؟

فهو قطعاً لم يتكلم اليونانية.

أ – تحتوي ترجمة (البشيتا) السريانية للكتاب المقدس على كلمة (براقليطا) دون تفسير أو شرح أو ترجمة لمعناها،

openkandil.com

غير أن الترجمة اللاتينية المعتمدة وهي الـ(فالجيت Vul-gate) ترجمت هذه الكلمة إلى (المعزي)، وإذا لم أكن مخطئاً فإن الكلمة الآرامية الأصلية لم تكن سوى (محَمده) أو (حمِده)، وهي تقابل كلمة (محمد) أو (أحمد) بالعربية، كما أنها تقابل كلمة (البرقليطوس) اليونانية.

إن تفسير هذه الكلمة اليونانية بمعنى العزاء والمعزي لا يعني أن (البرقليط periqlye) هو المعزي، ولكن مجرد الأمل والاعتقاد بأنه سوف يأتي لتعزية النصارى الأوائل، ولقد خابت توقعاتهم بالمجيء الثاني لعيسى ظافراً منتصراً (قبل أن يكون الكثيرون منهم قد ذاقوا الموت) (متى 28/16)، ولذا تركزت آمالهم بدلاً من ذلك على مجيء العزاء عن طريق (البرقليط periqleys)

ب- في الآية القرآنية 6 من سورة الصف أعلن عيسى، بن مريم قائلاً: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾، وهذا من أقوى البراهين على نبوة محمد، وعلى أن القرآن تنزيل إلهي فعلاً؛ إذ لم يكن في وسع محمد أن يعرف أن كلمة البرقليطوس كانت تعني أحمد إلا من خلال الوحي، وهذه حجة جازمة ونهائية؛ لأن المدلول الحرفي للاسم اليوناني يعادل بدقة كلمتي (أحمد ومحمد).

obeikandl.com

ومن المدهش أن الوحي قد ميز صيغة (أفعل) التفضيل من غيرها أي: (أحمد) من (محمد)، ومن المدهش أيضاً أن هذا الاسم الفريد لم يُعطَ لأحد من قبل؛ إذ حجز بصورة معجزة لخاتم الأنبياء والرسل، وأجدرهم بالحمد والثناء، ذلك أن اسم (برقليطوس) لم يطلق على أي يوناني قط، كما أن اسم أحمد لم يطلق على أي عربي قبل النبي محمد، صحيح أنه كان هنالك يوناني مشهور من أثينا اسمه بركليس بمعنى الشهير، ولكن ليس بمعنى الأشهر.

جـ- يصف الإنجيل الرابع البرقليطوس بأنه شخص محدد المعالم وروح مقدسة تسكن جسماً بشرياً، وتنجز عملاً هائلاً لم ينجزه أحد من الأنبياء من قبل بمن فيهم موسى وعيسى وغيرهما.

إننا بالطبع لا ننكر أن الروح القدس نزل على حواريي عيسى المسيح، ولا ننكر أيضا أن الروح القدس قد بارك أتباع عيسى المخلصين؛ إذ كان هنالك الكثير من النصارى الموحدين الأتقياء الزاهدين في الدنيا. ويقال أيضاً إنه في عيد الحصاد pentecost ـ وهو الذي صادف اليوم العاشر بعد رفع عيسى المسيح عليه السلام ـ نزلت الروح القدس على الحواريين وغيرهم من المؤمنين البالغ عددهم مئة وعشرين شخصاً، وقد يفهم بعضهم من الروح القدس أنها قدرة الله وإلهامه ـ وليست شخصية محددة ـ غير أن

هذه الروح مختلفة تماماً عن البرقليطوس الذي استطاع وحده إنجاز العمل العظيم الذي لم يكن لعيسى ولا للحواريين من بعده أن يُخولوا بإنجازه.

د- اعتمد النصارى الأوائل في القرن الأول والثاني على النقل الشفهي والروايات أكثر من الكتابات فيما يتعلق بإنجيل عيسى وبالدين الجديد؛ حتى إنه في أيام الحواريين ـ بعد عيسى ـ انتشر العديد من المذاهب والأدعياء والدجالين مما أدى لحدوث انشقاقات لا يستهان بها (1 يوحنا 18/2-26) ، (2 تيسالونيكي 2/1-12)، (2 بطرس 1/3،2)، (1تيموثي1/4-3)، (2 تيموثي 1/3-13)...إلخ، وقد نصح المؤمنون وقتها بالتزام تعاليم الحواريين الشفيهة، أما المذاهب التي وصمت بالهرطقة مثل مذاهب Gnostics Applinarians Docetas فيبدو أنها أنكرت الأساطير والخرافات المضخمة عن تضحية المسيح وافتدائه التي وردت في إنجيل لوقا (لوقا 1/1-4).

وقد اتخذ أحد زعماء تلك المذاهب لنفسه اسم (البرقليطوس) وادَّعى أنه النبي (الأحمد) الذي تنبأ به المسيح، وصار له أتباع عديدون، ولو كان هنالك إنجيل صحيح مؤيد من المسيح أو من جميع الحواريين لما وجدت وقتئذ تلك المذاهب الكثيرة المناقضة لمحتويات العهد الجديد، ونستطيع أن نستنتج باطمئنان من ادعاء

البرقليط المزيف أن النصارى الأوائل كانوا يتوقعون أن يجيء (روح الحق) على صورة رجل بشر يكون خاتم الأنبياء والرسل.

3 – ليس هنالك أدنى شك في أن (محمداً) أو (أحمدَ) هو المعني بكلمة البرقليط، فالاسمان متطابقان في اليونانية والعربية، وكلاهما بمعنى الأشهر والأحمد، تماًما كما أن (البنوما) و(الروح) تعنيان الشيء ذاته في اللغتين، وقد رأينا أن ترجمة الكلمة إلى معز أو محام غير منطقية وغير صحيحة قطعاً، ولنفحص الآن علامات البرقليطوس التي لا توجد في غيره.

أ – لقد صحح محمد الانحرافات التي أُدخلت على الأديان السماوية قبله، وقد وصف عيسى البرقليطوس بأنه (روح الحق) التي سوف تشهد على طبيعة عيسى ورسالته (يوحنا 26/17،15/14)، وقد تحدث عيسى في أقواله وخطبه عن الوجود السابق لروحه(يوحنا /8 5/17,58)...إلخ، كما ورد في إنجيل برنابا أن عيسى المسيح تحدَّث مراراً عن مجد وروعةِ الروحِ المحمّدية التي شاهدها، ممّا يدل على وجودها منذ زمن على الأقل، وقد وبّخ (روح الحق) النصارى على تقسيم الوحدانية الإلهية إلى ثالوث من الأشخاص، وعلى رفعهم عيسى المسيح إلى مرتبة إله وابن إِله، وعلى الكثير من الخرافات التي ابتدعوها، كما فضح أضاليل اليهود والنصارى في تزييف

كتبهم المقدسة، وندّد باليهود بسبب افترائهم عدم عذرية وطهارة مريم، وبرهن على حق البكورية لإسماعيل، وبرّأ لوطاً وسليمان وباقي الأنبياء من التهم والدنس التي ألحقها بهم المزيّفون اليهود، كما شهد (روح الحق) على طبيعة عيسى الحقيقية، وهي أنه بشر ونبي ورسول وعبد من عباد الله، كما قضى (روح الحق) على الوثنية والشرك.

ب- من أكبر علامات (روح الحق ـ البرقليطوس) أنه عندما يأتي في شخص أحمد ـ(ابن الإنسان) فسوف (يوبّخ العالم على الخطيئة) (يوحنا 8/16)، ونلاحظ أنه لا يوجد عبد من عباد الله - سواء أكان ملكاً نبياً مثل داود وسليمان، أو نبياً مثل إبراهيم وموسى - قام بتوبيخ البشر على الخطيئة كما فعل محمد بإصرار وحماس وشجاعة، صحيح أن كل خرق للشريعة يعدّ خطيئة، ولكن الشرك وتقديس الأوثان هو الخطيئة الكبرى.

لقد قام جميع الأنبياء والأولياء بتوبيخ أقوامهم على الخطيئة، ولكن محمداً وحده هو الذي وبخ العالم أجمع؛ فهو لم يكتفِ باقتلاع جذور الوثنية من جزيرة العرب، بل بعث بالرسل إلى كسرى برويز، وهرقل الروم أباطرة أعظم دولتين في أيامه، وإلى نجاشي الحبشة، وإلى مقوقس مصر، وإلى العديد غيرهم من الملوك

والأمراء في أنحاء العالم، يدعوهم إلى الإسلام وإلى نبذ الشرك وعبادة الأشخاص والأوثان ونبذ العقائد الباطلة، وقد بدأ محمد بتبليغ كلام الله ـ وهو القرآن ـ إلى البشر بالحكمة والموعظة والقدوة الحسنة، ولكن عندما عارضته قوى الشر والظلام بقوة السلاح اضطر لمقابلة القوة بالقوة دفاعاً عن الرسالة السماوية، وكان ذلك تحقيقاً وتنفيذاً لأمر الله كما ورد في سفر دانيال بالفصل السابع عندما خوّل محمد بالسلطة والقوة لتحقيق مملكة الله في الأرض، وليصبح أول قائد لها تحت سلطة (ملك الملوك ورب الأرباب).

جـ - ومن علامات (البرقليطوس ـ أحمد) أيضاً أنه (سوف يوبّخ العالم لأجل الخطيئة والاستقامة والعدالة) (يوحنا16/8)، أما تفسير الاستقامة بما نُسب إلى المسيح من قوله: (لأنني ذاهب إلى أبي) (يوحنا16/10) فهو تفسير غامض ومبهم؛ إذ يجعل عودة عيسى إلى ربه سبباً كافياً لتأنيب العالم بوساطة (البرقليطوس)، فلماذا؟ من أنّب العالم بسبب ذلك؟

لقد اعتقد اليهود أنهم صلبوا عيسى وقتلوه، ولم يؤمنوا بأنه رفع إلى السماء، فعاقبهم محمد ووبخهم بشدة بسبب كفرهم هذا، وقد أصاب التوبيخ أيضاً النصارى الذين اعتقدوا ويعتقدونَ أن المسيح صلب وقتل على الصليب، وأنه إله أو ابن إله، وقد أوضح

obeikandl.com

القرآن هذا الموضع بقوله تعالى: ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾**﴾ (سورة النساء: 157-158).

والمعروف أن الكثير من النصارى الأوائل أنكروا صلب المسيح، وأصروا على أن أحد أتباعه ـ وهو يهوذا الأسخريوطي ـ أو شبهاً له ألقي القبض عليه وصلب بدلاً منه، وهناك الكثير من المذاهب مثل الكورنثيين Corinthians والبازيليديين Basilidians والكوربوكراتيين Corpocratians وغيرهم كثير ممّن أنكروا صلب المسيح، وقد شرحت بإسهاب أشكال الصلب في كتابي المسمى (الإنجيل والصليب)، وقد صدر منه مجلد واحد فقط باللغة التركية قبل نشوب الحرب العالمية الأولى، والنتيجة أن محمداً قد أنصف عيسى المسيح عندما أوضح أن عيسى روح من الله، وأنه لم يصلب ولم يقتل، وأنه لم يكن إلها ولا ابن إله، ولكنه رسول كريم من الله، وهذا ما قصده عيسى بالضبط عندما تكلم عن حقيقة العدالة حول ذاته ورسالته ورفعه إلى السماء، ثم تحققت هذه العدالة فعلاً على يد (البرقليطوس أحمد).

د - ومن أهم علامات البرقليطوس أيضاً أنه (سوف يؤنب العالم لأجل الدنيوية) (لأن رئيس هذا العالم قد أُدين)

(يوحنا 8/16–11) ، أما رئيس هذا العالم فهو الشيطان (يوحنا 31/12،–30)؛ لأن العالم كان خاضعاً له، وهنا ألفت نظر قرائي إلى الفصل السابع من سفر دانيال باللغة الآرامية واللهجة البابلية حيث يصف النبي دانيال كيف عُقِدت الدنيوية الكبرى وفتحت الأسفار، وصدر الحكم الإلهي بتحطيم ديانة الشيطان على يد (البرانشا ابن الإنسان) محمد، وقد استخدم دانيال تعابير مشابهة لتعبير القرآن عن يوم الحساب أو الدينونة وعن الدين الحق ــ الإسلام ــ، ويلاحظ أن استخدام القرآن لكلمة الدين ــ دينا بالآرامية ــ كما وردت في سفر دانيال بما يعني الحكم أو الدينونة أو الدين – لهو أمر في غاية الأهمية؛ لأنه في رأيي أحد البراهين على الحقيقة التي نزل بها روح القدس جبريل على كل من دانيال وعيسى ومحمد؛ إذ لم يكن باستطاعة محمد أن يختلق أو يلفق مثل ذلك حتى ولو كان فيلسوفاً ضليعاً مثل أرسطو.

إن الحكم الذي جرى وصفه في سفر دانيال كان لإدانة الشيطان الذي تجسد في ذلك الوقت بصورة الوحش الرابع (الإمبراطورية الرومانية)، وإن مهمة القضاء لم تسند إلى عيسى عليه السلام؛ لأنه كان عازفاً عن الشؤون السياسية وقد دفع الضريبة لقيصر، ونصح أتباعه بدفعها، وانسحب عندما أرادوا تتويجه ملكاً، وقد

أعلن بوضوح أن سيد هذا العالم قادم، وأن البرقليطوس (أَحمدَ) سوف يجتثُّ الوثنية، وهو ما تحقق بالفعل على يديه.

هـ - والعلامة الأخيرة للبرقليطوس هي أنه (لا يتكلم من عنده، بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بما سوف يأتي) (يوحنا13/16)، وهكذا كان محمد ينطقُ بالوحي تماماً كما سمعه من جبريل، ثمّ كان الوحي يُدوَّنُ على يد الكَتَبة المختارين فور نزوله حتى تجميع القرآن، أما أقوال محمد الشخصية وتعاليمه فهي على أهميتها لم تجمع وتدوّن إلا بعد وفاته بعشرات السنين، ولا علاقة لها بالوحي القرآني، وهي تدعى بالأحاديث الشريفة.

هذا هو البرقليطوس الحقيقي! فهل بإمكانكم أن ترشدونا إلى أي شخص آخر تنطبق عليه كل هذه الصفات والعلامات والميزات التي ينبغي أن تكون للبرقليطوس؟ إنكم لا تستطيعون.

obeikandl.com

الفصل التاسع عشر

من هو ابن الإنسان

يذكر القرآن الكريم عيسى المسيح - عليه السلام - على أنه ابن مريم، ولكن الأناجيل التي بين أيدينا اليوم لم تكتفِ بأنه المسيح ابن مريم، بل اخترعت له كثيراً من الألقاب والمسميات، وسبب ذلك أن الإنجيل الحقيقي الذي أوحي إلى عيسى المسيح ونقل إلى إتباعه وتلاميذه شفهياً قد أصابه التحريف، وأضيفت إليه الخرافات والأساطير، فتحول عيسى من ابن مريم إلى ابن يوسف النجار (متى 55/13-56) (مرقص 3/6) (لوقا2/ 48) (يوحنا 2/ 12 ،3/7-5)، وجعلوا له إخوة وأخوات (مرقص 31/3) (لوقا 8/19-21) (الأعمال 14/1) (الكورنثيين الأول 5/9) (غلاطية 19/1) (يهودا 1/1)، ثم جعلوه ابن داود أحيانا أخرى (متى 9/ 27،30/20،9/21،44/22) (مرقص35/12) (لوقا 41/20) (الأعمال 22/13-23) (الرؤيا 5/5) (العبرانيين14/7)، ثم جعلوه ابن الله (متى 33/14،16/16) (يوحنا 27/11) (الأعمال 20/9)، وجعلوه أيضاً الابن فقط في صيغة التعميد وفي (متى 19/28) (يوحنا 19/5-26) (العبرانيين 2/1-5)، ثم قالوا: إِنه ابن الإنسان،

وتكرر هذا اللقب في الأناجيل ثلاثة وثمانينَ مرة، ثم سموه الحمل (يوحنا 29/1، 36)، وهو أيضا المسيح.

ومنذ سنين - وقتما كنت قسيساً كاثلوكياً - زرت قاعة اكستر في لندن، فصادف أن استمعت إلى أحد الوعاظ، وكان طبيباً شاباً يخطب في اجتماع لجمعية الشبان المسيحيين، وكان من جملة ما قاله: (أكرر ما سبق أن قلته مراراً وهو أن عيسى أحد اثنين، فهو إما ما يدعيه في الأناجيل أو هو أكبر دجال في العالم). ومنذ ذلك الوقت لم أستطع نسيان ذلك الكلام المتحجر الضيق الأفق؛ إذ لم يترك خياراً لأحد سوى أن يعتقد أن عيسى أكبر دجال أو ابن الله، فمن يقبل الخيار الأول فهو كافر أو يهودي، ومن يقبل الخيار الثاني يكن مسيحياً تثليثياً، في حين أننا نحن الذين نرفض الخيارين الاثنين لسنا سوى مسلمين موحدين، فالمعنى الذي تحدده الكنائس لعبارة (ابن الله) مرفوض من قبل المسلمين؛ لأنَّ المسيح ليس وحده (ابن الله)، وليس وحده ابن الإنسان، وإذا سمح لنا مجازاً أن ندعو الله أباً فإن كل نبي وكل مؤمن مستقيم سيكون (ابن الله) بهذا المعنى، وإذا كان عيسى كما يزعمون هو (ابن يوسف النجار)، وإذا كان له أربعة إخوة وأخوات عدة متزوجات كما تدعي الأناجيل؛ فلماذا كان عيسى المسيح وحده جديراً باللقب الغريب (ابن إنسان) الذي ينطبق على كل بشر؟!

ومن عجبٍ أن لدى هؤلاء القسيسين والرعاة واللاهوتيين والمكابرين منطقاً غريباً في الجدل وميلاً أغرب للأمور الغامضة

السخيفة والأعاجيب، إنهم لا يميزون بين الاصطلاحات وبين الألقاب والتسميات التي يستخدمونها، كما لا توجد لديهم أي فكرة محددة عنها، كما إن لديهم مقدرة لا يحسدون عليها في تنميق الأقوال المتناقضة التي لا يمكن التوفيق بينهما؛ والتي لا يصدقها أحد غيرهم، فهم قادرون على الاعتقاد أن مريم كانت عذراء وزوجاً في وقت معاً، وأن يوسف كان الرفيق والزوج، وأن جيمس ويوسي وسمعان ويهودا كانوا أبناء عمومة عيسى وإخوانه في الوقت نفسه، وأن عيسى إله وبشرٌ كامل، وأنه أيضاً ابن الله وابن داود وابن يوسف وابن الإنسان، وأنه أيضاً حمل الله، وهم يعبدون المصلوب كما يعبدون الله.

لا أعتقد أنه يوجدُ مسيحي واحد من كل عشرة ملايين لديه أدنى فكرة عن معنى لقب ابن الإنسان أو دلالته، ويدّعي القساوسة والوعّاظ أن المسيح قد اتخذ لنفسه لقب ابن الإنسان (البرناشا) بدافع من التواضع والحلم والمسالمة متجاهلين أسفار الرؤى اليهودية apocalyptic scriphres التي يعرفونها تماماً، والتي آمن بها المسيح والحواريون، والتي تنبأت بابن الإنسان الذي لن يكون مسالماً ولا عاجزاً عن إيجاد مكان يضع عليه رأسه، ويستحيل أن يقبض عليه الأعداء أو أن يُسلَّم لأيديهم، ولكنها تنبأت بابن الإنسان القوي المظفر الذي يتغلب على قوى الشر المرموز إليها بالطيور الجارحة والوحوش الشرسة التي كانت تفتك بشعبه المرموز إليه

بالخراف والحملان، وقد كان اليهود الذين سمعوا عيسى يتكلم عن ابن الإنسان يعرفون حق المعرفة عمّن كان يتكلم، فالمسيح لم يبتكر ذلك اللقب، بل أخذه من أسفار الرؤى اليهودية: سفر إدريس والأسفار السيبيلية Sibylline books وسفر دانيال..إلخ، ولنتفحص الآن أصل اللقب:

1 - (ابن الإنسان) هو آخر الأنبياء الذي ينشئ مملكة السلام (الإسلام) على أنقاض العبودية والاضطهاد الذي كان يمارس تحت سلطة (الوثنية)، ولقب (برناشا) هو لقب رمزي يميز المنقذ من بقية عباد الله الذينَ رمز إليهم بالخراف، بينما رمز إلى الأمم الكافرة بالطيور الجارحة والوحوش الشرسة. وقد خاطب تعالى النبي حزقيال (ذا الكفل) بلقب ابن آدم أي: ابن الإنسان بمعنى راعي خراف إسرائيل، وفي أول رؤيا يبدأ بها سفر حزقيال يُشاهد ابن الإنسان بجانب العرش الإلهي (سفر حزقيال 26/12)، ويتكرر ذكر ابن الإنسان في ذلك السفر، وكونه دوماً في حضرة الله وفوق الملائكة، وهو ليس حزقيال نفسه (سفر حزقيال 2/10) بل آخر الأنبياء الذين أوكل إليهم إنقاذ عباد الله من سلطان الكفر والوثنية.

أ- (ابن الإنسان) حسب رؤيا (إدريس)، (Enoch or Henoh):

يسمي القرآن إينوخ بلقبه (إدريس)، وهو الصيغة العربية لكلمة (دريشا) الآرامية من فئة الأسماء البسيطة كإبليس وبليسا[1]، أما

معنى إدريس ودريشا فهو الشخص العلاّمة، والاشتقاق من فعل درَسَ، وفي الآرامية (دَرَش)، قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾**﴾ (سورة مريم 56-57). ويبدو أن المفسرين المسلمين البيضاوي وجلال الدين كانا يعرفان أن إدريس قد درس الفيزياء والفلك والحساب، وأن لقب إدريس يعني شخصاً علاّمة، ويحتمل أن سفر إدريس كان موجوداً أيامهما، ولا شك في أن عيسى كان على معرفة جيدة برؤيا إدريس، كما أن يهوذا (أخو جيمس وخادم عيسى المسيح وأحد إخوته المزعومين)[2] كان يعتقد أن إدريس هو المؤلف الحقيقي للكتاب الذي يحمل اسمه، كما كان يعتقد أن إدريس هو الجد السابع بعد آدم (سفر يهوذا 14/1)، وهنالك بعض الأجزاء المبعثرة لهذا السفر محفوظة ضمن مقتبسات بعض الكتاب المسيحيين الأوائل، وقد ضاع السفر قبل زمن (فوتيوس photius) بكثير، ثم لم يظهر بعد ذلك إلا في أوائل القرن الماضي ضمن لائحة أسفار الكنيسة الحبشية، وقد ترجمها الدكتور دلمان Dillmann من الأثيوبية إلى الألمانية، وأضاف إليها ملاحظاته وشرحه[3].

(1) إبليس: الصيغة العربية للكلمة الآرمية (بليسا) وهي صفة الشيطان ومعناها المسحوق أو المقهور.

(2) تدّعي الأناجيل أنه واحد من أربعة إخوة لعيسى المسيح هم: جيمس ويوسي وسمعان ويهوذا (متى 13/55-56).

(3) ترجمها أيضاً أسقف إيرلندا واسمه لورنس.

obeikandi.com

يقسم سفر إدريس إلى خمسة أجزاء و(110) فصول. في الجزء الأول منها يصف المؤلف سلالات من العمالقة يبتدعون ضروباً من السحر والشرور والرذيلة حتى إن الله سبحانه عاقبهم بالطوفان، كما يصف في هذا الجزء رحلة له إلى السماء تكررت مرتين بصحبة الملائكة، وفي الجزء الثاني يصف (مملكة السلام)، ويذكر (ابن الإنسان) الذي يلقي الملوك الفاسدين في جهنم (سفر إدريس 46/4-8)، ويبدو أن مؤلفين عدة قد اشتركوا في كتابة الجزء الثاني، كما يبدو تحريف الكنيسة فيه واضحاً، أما الجزء الثالث ففيه بعض الأفكار الغريبة المتطورة عن الفلك والطبيعة، وفي الجزء الرابع حكايات أسطورية رمزية عن الجنس البشري منذ بدء الخليقة حتى أيام الإسلام التي يدعوها المؤلف بالعصور المسيحانية messianic، وفي هذه الحكايات يرمز إلى سلالة يعقوب بقطيع من الغنم، وهم شعب إسرائيل المختار، ويرمز إلى سلالة أخيه عيص وهم الأدوميون بقطيع من الخنازير البرية، ويصف الكاتب كيف يتعرض قطيع الغنم للمضايقة والتشريد والقتل من قبل الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة التي ترمز إلى الوثنية والكفر، وكيف أن كبشاً شجاعاً يقاوم بشدة، وأخيراً يظهر (ابن الإنسان) الذي يأتي لإنقاذ القطيع.

أما الجزء الخامس من الكتاب فيحتوي على مواعظ دينية وأخلاقية، والخلاصة أن سفر إدريس بشكله الحالي يتضمن أدلة

على أن تدوينه تم بالآرامية من قبل يهودي فلسطيني في تاريخ متأخر قد يكون عام 110ق.م، وهذا هو رأي الموسوعة الفرنسية.

بعد اعتماد مجموعة الكتب العبرية المقدسة في القرن الرابع قبل الميلاد من قبل أعضاء (الكنيس اليهودي الأكبر) الذي أسسه عزير ونحميا صار يطلق على جميع الكتب الدينية الأخرى التي لم تدرج ضمن هذه المجموعة اسم (أبوكريفا apocrypha) أي: الأساطير، وقد استبعدت هذه الكتب من قبل مجمع العلماء اليهود، كان آخرهم سمعان العادل الذي توفي سنة 310 قبل الميلاد، ومن الكتب الأبوكريفا هذه رؤى إدريس وباروخ وموسى وعزير والكتب السيبيلية sibylline التي كتبت في حقب مختلفة منذ عهد المكابيين إلى ما بعد تدمير القدس على يد تيطوس إمبراطور روما، ويبدو أنه كان شائعاً بين (الحكماء) اليهود تأليف أدبيات أُسطورية (أبوكريفية) دينية تنسب إلى بعض الشخصيات الدينية الشهيرة، ولا تشذ (الرؤيا) الموجودة في آخر العهد الجديد التي تحمل اسم يوحنا المقدس عن هذه العادة اليهودية النصرانية، وإذا كان يهوذا؛ الأخ المزعوم لعيسى قادراً على تصديق أن إدريس (الذي يعدونه الجد السابعَ بعد آدم) كان حقيقة مؤلفاً للمئةِ وعشرة فصول التي تحمل اسمه، فلا عجب أن يصدق كل من جوستين الشهير وبابياس ويوزيبيوس بصحّة تأليف الكتب المنسوبة إلى متّى ويوحنا.

obeikandl.com

وليس هدفي التعليق على هوية المؤلف الحقيقي أو على فحوى هذه الرؤى الغامضة المبهمة التي كتبت في ظروف مؤلمة من تاريخ الأمة اليهودية، ولكن هدفي هو استقصاء أصل اللقب (ابن الإنسان) ومحاولة معرفة دلالته الصحيحة، ذلك أن كتاب إدريس مثل رؤى الكنائس ومثل الأناجيل يتحدث عن مجيء (ابن الإنسان) الذي ينقذ شعب الله من أعدائه، والكتاب يخلط بين هذه التوقعات ويوم الحساب.

ب- إن الرؤيا السيبيلية sibylline Revelation التي كتبت بعد الانهيار الأخير للقدس نتيجة اجتياح الجيوش الرومانية (70م) تقولُ إن الإنسان سوف يظهر ليدمر الإمبراطورية الرومانية، وينقذ المؤمنين الموحدين، وقد كتب هذا السفر بعد المسيح بحوالي ثمانين عاماً على الأقل.

ج - في الفصل السادس من هذا الكتاب عرضنا موضوع ابن الإنسان في رؤيا دانيال التي يكلف فيها ابن الإنسان في القضاء على الوحش الروماني، كما أن الرؤى مسمّاة Assumption of Moses في كتاب باروخ مشابهة لذلك تقريباً، وجميعها تصف المنقذ على أنه (برناشا) أو ابن الإنسان

2 - يستحيل أن يكون ابن الإنسان المذكور في الرؤى هو نفسه عيسى المسيح؛ لأن ذلك اللقب لم ينطبق عليه بأي شكل من

الأشكال، وإن جميع ادعاءات الأناجيل التي تجعل (حمل الناصرة) يمسك بالملوك الفجار ويلقي بهم في الجحيم (سفر إدريس 46/4-8) تفتقر إلى الحد الأدنى من المصداقية، وإن المسافة التي تفصل عيسى المسيح عن ابن الإنسان أبعدُ من المسافة التي تفصل الأرض عن المريخ، لا شك في أن عيسى المسيح لم يكن ابن الإنسان ولا المنقذ الذي تنبأ به أنبياء اليهود وأصحاب الرؤى، ولقد كان اليهود محقين في إنكار ذلك اللقب وتلك الوظيفة عليه، ولكنهم قطعاً مخطئون في إنكار نبوته كما كانوا مجرمين في محاولة قتله.

وبعد وفاة سمعان العادل سنة 310 ق.م حل مجلس القضاء الأعلى (السانهدرين Sanhedrin) - الذي كان رئيسه يلقب بالأمير Nassi - محل مجمع (الكنيس اليهودي الأكبر)، ومن العجيب أن يعدّ نبياً هذا «الأمير» الذي نطق بالحكم ضد عيسى المسيح قائلاً: (من الأنسب أن يموت رجل واحد بدلاً من تدمير أمة بكاملها) (إنجيل يوحنا 50/11)؛ فلو كان ذلك «الأمير» نبياً حقاً فكيف لم يستطع التعرف على شخصية عيسى وعلى مهمته النبوية؟

وفيما يأتي الأسباب الرئيسة التي تدل أن عيسى المسيح لم يكن (ابن الإنسان) أو المنقذ الموعود المذكور في الرؤى:

openkandil.com

أ – لا يمكن لأي رسول أن يتنبأ بإعادة تجسده أو يقدم نفسه على أنه بطل أحداث مهمة سوف تحدث في المستقبل.

لقد تنبأ يعقوب بـ (رسول الله) (سفر التكوين 10/49) ، وتنبأ موسى بالنبي الذي سيأتي بالشريعة، وأمر إسرائيل أن تطيعه (سفر التثنية 15/18–18)، وتنبأ حجي haggai بأحمد (سفر حجي 7/2)، وتنبأ ملاحي بإيليا (سفر ملاخي 1/3، 5/4)، ولكن لم يتنبأ أي نبي بعودته بنفسه ثانية إلى هذا العالم، والغريب في موضوع عيسى المسيح أن ينسب إليه القول بأنه (ابن الإنسان) مع أنه كان قادراً على القيام بالحد الأدنى من مهام (ابن الإنسان)، فلو أعلم اليهود الذين كانوا في قبضة الرومان أنه كان ابن الإنسان حقاً ثم أمرهم أن يدفعوا الضريبة لقيصر، واعترف أن «ابن الإنسان» لم يجد مكاناً يضع عليه رأسه ثم أجل إنقاذ شعبه من الحكم الروماني إلى أجل غير مسمى لكان هذا استهزاءً وإنكاراً للنبوءات، ولا شك في أن من ينسبون هذه الأقوال الضعيفة إلى عيسى المسيح يعطون الانطباع إما بأنهم أغبياء أو بأنهم يتعمدون الإساءة لعيسى.

ب – لقد عرف عيسى أكثر من أي شخص آخر في إسرائيل من هو (ابن الإنسان) وما هي مهمته؛ إذ كان عليه أن ينزع الملوك الفجار من عروشهم ويرميهم في جهنم، وإن «رؤيا باروخ» و«رؤيا عزير» ــ الكتاب الرابع لإيزدراس في الترجمة اللاتينية المعتمدة للكتاب المقدس ـ تتحدثان عن

ظهور ابن الإنسان الذي يقيم مملكة السلام (الإسلام) على أنقاض الإمبراطورية الرومانية، وهكذا كانت جميع الرؤى الأسطورية ترينا التصور اليهودي لمجيء آخر المنقذين العظماء الملقب (ابن الإنسان) و(المخلص المنتظر)، ومن المستحيل أن نتصور أن عيسى كان جاهلاً بتلك الكتابات وتلك التطلعات المتحمسة من قومه، ومن المستحيل أن يكون قد أسبغ على نفسه أياً من هذين اللقبين بالمعنى الذي حدده مجلس القضاء الأعلى (السانهدرين) في القدس، وبالمعنى الذي تعلقه اليهودية على هذه الألقاب؛ لأنه لم يكن (ابن الإنسان) ولا (المخلص المنتظر)، فمن جهة لم يكن لديه برنامج سياسي أو خطة اجتماعية لتحقيق مهام ابن الإنسان، ومن جهة ثانية فإنه كان السلف والمبشر بابن الإنسان وبالمخلص المنتظر الرسول المظفر وسلطان الأنبياء.

إن التفحص المحايد للقب (ابن الإنسان) الذي نسب ثلاثاً وثمانين مرة إلى لسان عيسى المسيح يؤدي إلى القناعة القطعية بأنه لم يتخذ ذلك اللقب لنفسه، ونلاحظ أنه كثيراً ما استخدم ذلك اللقب بصيغة الغائب مشيراً إلى شخص آخر من المفترض ظهوره مستقبلاً، وفيما يأتي بعض الأمثلة:

1 - قال بعض أحبار اليهود لعيسى: سأتبعك أنى ذهبت، فأجابه

عيسى: (للثعالب جحورها، وللطيور أعشاشها، أما ابن الإنسان فليس لديه مكان يضع رأسه عليه) (متى 20/8)، وبعد ذلك مباشرة منع عيسى أحد أتباعه من الذهاب لدفن أبيه، ومن العجب أننا لا نجد معلقاً واحداً أو مفسراً أو كاهناً يكلف نفسه عناء التفكير السليم أو يستخدم أدنى قدر من الذكاء لتفسير مغزى رفض عيسى السماح للحبر العالم أن يتبعه، في حين منع أحد أتباعه من الذهاب لدفن أبيه، فإن كان لدى عيسى مكان لثلاثة عشر رأساً فلم يكن من المستحيل عليه إيجاد مكان للرأس الرابع عشر عدا أنه كان باستطاعتِهِ ضمه إلى السبعين من تابعيه (لوقا 1/10) ، خاصة أن الشخص الذي طلب أن يلتحق به لم يكن صياد سمك فاشلاً كأبناء زبدي ويونس، بل كان عالما ضليعاً لا مجال للشك في عمله وإخلاصه، وكان يعتقد أن عيسى هو المخلص المنتظر أي: ابن الإنسان الذي يوشك أن يدعو جنوده من السماء، ويستعيد ملك داود، لكن عيسى لاحظ اعتقادهُ الخاطئ، وأفهمه بلباقة أن من لا يملك ذراعاً يضع عليه رأسه لا يمكن أن يكون (ابن الإنسان) المظفر، فلم يرد أن يكون فظاً، ولكن أفهمه الحقيقة بلطف ولباقة، وأنقذه من التعلق بآمال وهمية.

2 – ينسب إلى عيسى المسيح القول: إن (ابن الإنسان) سوف يفرز الخراف من الماعز (متى 25/31–34) ، ويقصد بالخرافِ

اليهودُ المؤمنون وبالماعز اليهودُ غير المؤمنين الذين تحالفوا مع أعداء الدين، ولذلك قضي عليهم بالدمار، وهو ما تنبأتْ به رؤيا إدريس. لقد كان عيسى مرسلاً لحث خراف بني إسرائيل على التمسك بإيمانها (متَّى 24/15) حتى مجيء (ابن الإنسان) الذي سينقذها بصورة نهائية إذا آمنت به، ولم يكن هو (ابن الإنسان) كما لم تكن له علاقة بالسياسة ولا بالخراف والماعز التي رفضته جميعاً إلا ما قل منها.

3 – قيل: إن (ابن الإنسان) هو (سيد يوم السبت) بمعنى أنه سوف يبطل القانون الذي جعل من السبت يوماً للراحة محرماً، ولكن عيسى المسيح التزم بالسبت بدقة، وكان يحضر الصلاة في الهيكل أيام السبت، كما أمر أتباعه بالدعاء كي لا تكون هزيمة اليهود ودمار القدس في يوم سبت، فكيف يصح الزعم أنه (ابن الإنسان) و(سيد يوم السبت) على الرغم من أنه كان يراعي أيام السبت، ويحافظ على قداستها بدقة كأي يهودي آخر؟ وكيف يعقل أن يتخذ لنفسه هذا اللقب المهم في الوقت ذاته الذي كان يتنبأ فيه بدمار القدس والهيكل؟

وهناك الكثير من الأمثلة الأخرى التي تؤيد أن عيسى لا يمكن أن يكون أسبغ على نفسه لقب (برناشا) أو (ابن الإنسان)، بل إنه نسب هذا اللقب إلى خاتم الأنبياء والرسل الذي أنقذ (الخراف) أي: اليهود، وقضى على (الماعز) أي: الكفار منهم، وألغى يوم السبت، وأقام مملكة السلام (الإسلام).

obeikandl.com

وفي الحلقة الآتية سوف أبيّن علامات (ابن الإنسان) كما وردت في الرؤى، وكيف انطبقت حرفياً على آخر الأنبياء والرسل محمد عليه الصلاة والسلام.

obeikandl.com

الفصل العشرون

محمد هو المقصود بلقب (ابن الإنسان) المذكور في الرؤى

رأينا في الفصل السابق استحالة أن يكون عيسى المسيح هو (ابن الإنسان) الذي تنبأت به الرؤى اليهودية، وأن عيسى لا يمكن أن يكون قد اتخذ لنفسه ذلك اللقب، ولو أنه فعل ذلك لجعل من نفسه أضحوكة أمام سامعيه.

لم يكن أمام عيسى سوى أحد أمرين: إمّا أن ينكر التنبؤات والرؤى اليهودية المتعلقة بابن الإنسان على أنها اختلاق وأساطير، أو أن يؤكدها وينسب ذلك اللقب لنفسه بكل ما يترتب عليه من متطلبات إن كان هو فعلاً ذلك الشخص المنتظر، أما الادعاء بأن ابن الإنسان جاء لِيَخدم لا ليُخدَم (متّى 8/20) وأن ابن الإنسان سوف يُسلّم للأحبار اليهود كي يُحكم عليه بالموت (متّى 18/20) وأن ابن الإنسان جاء ليشرب الخمر مع العابثين في الحانات (متّى 19/11) وأنه كان متسولاً يعيش على صدقات الناس، كل ذلك كان سيعني الإهانة لأمّته اليهودية والاحتقار لتطلعاتها الدينية، أما التفاخر بأن

ابن الإنسان جاء لإنقاذ خراف إسرائيل التائهة (متّى 11/18)، ولكنه مضطر لتأجيل ذلك إلى يوم القيامة، وحتى في يوم القيامة فسوف يُلقى بهم في النار، فهذا يعني الإحباط لآمال الشعب اليهودي الذي تشرف وحده ـ حتى ذلك الحين ـ باعتناق الدين الحق، كما يعني الاحتقار لأنبياء اليهود وأصحاب الرؤى منهم.

فهل كان بإمكان المسيح انتحال ذلك اللقب؟ وهل كان كتّاب الأناجيل من اليهود حقاً؟ وهل يعقل أن يصدّق عيسى المسيح ما تزعمه الأناجيل الحالية؟ وهل يمكن لأي يهودي حقيقي أن يكتب هذه القصص عمداً لتثبيط اليهود وإحباط توقعاتهم؟ من المستحيل أن ينتحل عيسى لنفسه هذا اللقب الفخم بين شعب كان يعرف حق المعرفة من هو الصاحب الحقيقي لذلك اللقب، وإن مجرد الافتراض بأن عيسى قد عمل ذلك يجعلني أنتفض، وكلما تعمقت بهذه الأناجيل ازددت اقتناعاً بأنها نتاج غير يهودي، وأنها عبارة عن عملية توازن لمضاهاة الرؤى اليهودية وخاصة الكتب السماوية منها Sibyllian Books، ولا يمكن أن يكون كُتّاب الأناجيل سوى النصارى اليونان الذين لم يكن لديهم أدنى اهتمام بادعاءات سلالة إبراهيم، إن مؤلفي الكتب السيبيلية يضعون أنبياء اليهود إدريس وسليمان ودانيال وعزير جنباً إلى جنب مع حكماء اليونان هيرمس وهوميروس وأوفيوس وفيثاغورس وغيرهم بغرض الدعاية للديانة اليهودية، وقد كُتبت هذه الكتب بعد خراب القدس والهيكل، وفي الحقبة التي نُشرت فيها رؤيا القديس يوحنا، وكان الغرض من

الكتب السيبيلية التنبؤ بأن ابن الإنسان العبري[1] أو المخلّص المنتظر سوف يأتي ليهزم الرومان، ويقدّم الدين الصحيح للعالم.

والآن بإمكاننا التحقق من أن صفات وهوية (ابن الإنسان) قد انطبقت على محمد وحده دون غيره؛ وذلك استناداً إلى ما جاء في الأناجيل والرؤى معاً، وفي تتمة هذا الفصل سوف أبحث البراهين التي وردت في الأناجيل، ثم في الفصل الذي يليه أبحث البراهين الواردة في الرؤى.

الأناجيل:

يلاحظ في العبارات الواضحة والمتماسكة المنسوبة إلى عيسى المسيح أن لقب ابن الإنسان ينطبق على محمد وحده دون غيره، أما العبارات التي يفترض فيها أن عيسى المسيح قد اتخذ ذلك اللقب لنفسه فنراها مفككة عديمة المعنى وفي غاية الغموض، كما هي الحال في العبارات الآتية مثلاً:

(جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب الخمر وقيل انظروا شارب الخمر صديق أصحاب الحانات والعابثين...) (متّى 11/18-19)، لقد وصفوا النبي يحيى بأنه كان شيطاناً مع أنه لم يشرب الخمر، وعاش على الماء والجراد والعسل البري، وفي الوقت ذاته وصفوا

(1) المقصود بكلمة عبري في معناها العام: كل ما ينسب إلى سلالة إبراهيم عليه السلام، تلك السلالة التي تفرقت فيما بعد إلى بني إسماعيل وبني إسرائيل.

obeikandl.com

عيسى المسيحَ (ابن الإنسان المزعوم) الذي شرب النبيذ حسب قولهم بأنه (صديق أصحاب الحانات والعابثين)! فكيف يلومون نبياً على صيامه وعفته وفي الوقت نفسه يتهمون رسولاً من الله بالتردد على حانات الخمر وبأنه كان مولعاً بالنبيذ؟ وهل يستطيع النصارى تحمل رؤية قسيس أو راعٍ للكنيسة يسلك هذا السلوك؟

قد يقولون: إنه يختلط بجميع أنواع الخاطئين بغرض إرشادهم وإصلاحهم، غير أنه يجب أن يكون متزناً ومعتدلاً في تصرفاته وسلوكه وليس شارباً للخمر، ثم يُقال لنا: إن عيسى قد هدى اثنين من جباة الضريبة (متّى 9/9) (لوقا 19/1–11) وعاهرة (يوحنا/4) ومريم المجدلية التي كان بها مسّ من الشيطان (لوقا 2/8)، في حين كانت اللعنات والشتائم تنهال على رجال الدين والقانون (متّى/ 13وغيره)، كل هذا يبدو مربكاً وصعب التصديق، فلا يعقل أن عيسى المسيح كان مغرماً بالنبيذ، وأنه غيّر ستة براميل من الماء إلى نبيذ قوي لكي يذهب بعقول السكارى في قاعة عرس في قانا (يوحنا 2)، ويتصرف كأنه أفّاق أو مشعوذ أو ساحر ينفذ أعجوبة أمام الجماهير من السكارى! إن وصف عيسى بالسكير والنّهم وصديق المستهترين والعابثين ثم إعطاءه بعد كل ذلك لقب (ابن الإنسان) يعدّ إنكاراً لكل الوحي اليهودي.

ويقال أيضاً: إن (ابن الإنسان جاء ليبحث عمّا ضاع ويستردّه) (لوقا 10/19) ويفسر المعلقون هذه العبارة تفسيراً روحياً، ونحن نقرّ

بأن عيسى أرسل فقط إلى (خراف إسرائيل الضالة) لإصلاحها وهدايتها؛ كي يبشّرها عن (ابن الإنسان) الذي سيأتي بالسلطة والخلاص لإعادة ما فُقد وإعادة بناء ما أصبح خراباً، ثم لينتصر على الكفّار، ومن الواضح أن عيسى لم يكن ليستطيع أن يتخذ لنفسه لقب (برناشا) المذكور في الرؤى، ثم يعجز عن إنقاذ أحد باستثناء زخيوس وامرأة سامرية وحفنة من اليهود الآخرين بمن فيهم الحواريّون الذين قتلوا فيما بعد بسببه، والأرجح أن ما قاله عيسى هو: (إن ابن الإنسان سوف يأتي ليبحث عما ضاع ويسترده) وبالفعل فقد جاء محمد واستردّ ما كان قد ضاع، القدس ومكة والأراضي الموعودة، وحقيقة الدين الصحيح وسلطة مملكة الله على الأرض.

ويقال أيضاً: إن (ابن الإنسان سوف يُسلّم إلى أيدي الرجال...) (متّى 21/16) وهذا من جملة الأقوال التي جعلت عيسى موضوع الآلام والموت، ولا شك في أنها اختُلقت من قبل كاتب دجال لا يمكن أن يكون يهودياً بهدف إقناع اليهود بأن عيسى المسيح هو المخلّص الظافر المذكور في الرؤى، غير أنه سوف ينتصر يوم القيامة، وليس في هذه الحياة الدنيا، تلك كانت الدعاية الخبيثة التي صيغت خصيصاً لليهود، ولكن النصارى اليهود اكتشفوا هذه الحيلة؛ لأنه لا يوجد شيء أكثر مناقضة لتطلعاتهم من تصوير المخلّص (البرناشا العظيم) الذي ينتظرونه على أنه عيسى الذي حكم عليه كبار أحبارهم بالموت بتهمة إغواء الناس.

ولندرس الحجج الآتية التي تبرهن أن عيسى المسيح لم يتخذ لقب ابن الإنسان لنفسه:

أ - تُخصص الرؤى اليهودية لقبي (المخلص المنتظر) و(ابن الإنسان) لخاتم الأنبياء الذي يهزم قوى الظلام، ويقيم في الأرض مملكة السلام (الإسلام) أي: إن اللقبين مترادفان، وفي الأناجيل الثلاثة الأولى من العهد الجديد نقرأ أن عيسى نفى أن يكون هو المخلّص المنتظر، ومنع تلاميذه من القول بذلك، وعندما سأل تلاميذه: (من تظنونني؟) أجابه سمعان بطرس: (أنت مسيح الله) فأمرهم أن لا يقولوا ذلك لأحد (لوقا 20/9-21) (مرقص30/8). ويذكر متّى أيضاً أن عيسى - عليه السلام - بعد أن لقّب بطرس بالصفا خوّله سلطة مفاتيح الجنة والنار (متّى 19/16) في حين أن مرقص ولوقا لم يذكرا شيئاً من ذلك، أما يوحنا فلم يسجل كلمة واحدة من هذا الحوار.

ثم ينسبون إلى عيسى القول: إن ابن الإنسان سوف يُسلّم إلى أعدائه ثم يُقتل. فلو صحّ ذلك لكان اعترافاً صريحاً منه بأنه ليس المخلّص المنتظر، وقيل: إن بطرس حذّر المسيح من تكرار هذا الكلام عن آلامه المقبلة وموته، ولكن المسيح وبّخ بطرس قائلاً بشدّة: (ارجع خلفي يا شيطان) (متّى 16/23) فكيف يمكن التوفيق بين مكافأة بطرس بلقب (الصفا) الرفيع وسلطة (مفاتيح الجنة والنار) ثم إطلاق لقب (شيطان) عليه بعد لحظات؟!!

obeikandl.com

هذان القولان المتناقضان اللذان أوردهما متّى على لسان عيسى ـ أو جرى دسّهما عليه من قبل أحد المحرّفين ـ أحدهما يبطل الآخر؛ إذ خلال برهة قصيرة يسمّي بطرس صخرة الإيمان ويخوله مفاتيح الجنة والنار كما تتباهى الكاثوليكية بذلك (متّى 16/18-19)، ثم يسميه شيطان الكفر (متّى 16/23) كما تصفه البروتستانتية في معرض السخرية!!

ولو كان عيسى هو (ابن الإنسان) أو (المخلص المنتظر) كما شاهده وتنبأ به كلّ من دانيال وعزير وإدريس والأنبياء والأحبار اليهود وآخرون لما منع تلاميذه من إعلان ذلك.

ولو كان هو (المخلص المنتظر) أو (ابن الإنسان) لأصاب خصومه بالذعر، ولهزم ودمّر الدولتين العظيمتين الرومانية والفارسية، ولكان جنّد معه محاربين أشداء من أمثال علي وعمر وخالد وغيرهم كما فعل محمد، وليس من أمثال زبيدي ويونس اللذين اختفيا عندما جاءت الشرطة الرومانية للقبض عليه.

ومن المؤكد أنه يستحيل مجيء (ابنين للإنسان) أحدهما يخوض الحروب المظفرة ويجتث الوثنية وممالكها والآخر راهب من المساكين يزعمون أنه استشهد بصورة مزرية على أيدي الرومان الوثنيين والأحبار اليهود الذين لم يصدقوه.

إن (ابن الإنسان) الذي رآه النبي حزقيال (ذوالكفل) تحت أجنحة الملائكة (سفر حزقيال/2)، ورآه النبي دانيال أمام عرش الله تعالى (سفر دانيال /7) لم يكن ليُعلّق على الصليب كما زعموا،

ولكنه حوّل عروش الملوك الكفرة إلى صلبان لهم، وحوّل قصورهم إلى مقابر، إن محمداً وليس عيسى هو الذي حصل على لقب (ابن الإنسان)، فالحقائق أبلغ من الأوهام والمعاذير.

ب- أطلق عيسى على (ابن الإنسان) لقب (سيد يوم السبت) (متّى 8/12)، وهذا أمر يلفت النظر؛ لأن شريعة موسى ركّزت على قداسة اليوم السابع، فقد أتم الله تعالى عملية الخلق في ستة أيام، وزعموا أنه استراح في اليوم السابع، وقد أوجبوا الراحة الإلزامية على كل رجل وامرأة وطفل حتى الحيوانات تحت طائلة عقوبة القتل بحجة أن الوصية الرابعة من الوصايا العشر تقول: (تذكّروا يوم السبت وقدّسوه) (سفر الخروج 8/20)، ويدّعي تلامذة التوراة أن الله كان غيوراً حول مراعاة يوم الراحة، وهنالك احتمال قوي أن يوم السبت اليهودي جاء في الأصل من (السباتو) Sabattu البابلي.

وقد دحض القرآن الكريم ادعاء اليهود أن الله سبحانه عمل ستة أيام ثم تعب كما يتعب البشر، وذلك في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ (سورة الأعراف: الآية 54)، وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ**﴾ (سورة ق: الآية 38).

وقد طغى اليهود في تفكيرهم المادي حول يوم السبت، فبدلاً من جعله يوماً للراحة والمتعة حولوه إلى يوم من الحرمان والحبس والمَلل، فمنعوا فيه الطبخ والخروج والإحسان وتقديم الصدقات، وكان أقل خرق لذلك يعاقب صاحبه بالقتل أو الرجم، وقد زعموا أن موسى حكم على مسكين بالرجم؛ لأنه التقط من الأرض حطباً يوم السبت، كما أنهم وبّخوا بعض الحواريين لحصادهم القمح يوم السبت على الرغم من جوعهم، ومن المفارقات أن رجال الدين في الهيكل كانوا يخبزون الخبز، ويقدمون التضحيات في يوم السبت، ولكنهم وبّخوا المسيح؛ لأنه بمعجزة شفى رجلاً فقد ذراعه يوم السبت (متّى 12/10-13)، ولذا أجابهم المسيح بأن السبت وُجد لفائدة البشر وليس البشر لفائدة السبت، والواضح أن عيسى المسيح لم يتقيد بالتفسير الحرفي للتعليمات المشددة القاسية حول السبت؛ لأنه أراد الرحمة والعطف وليس الشدة والغلظة، ومع ذلك فهو لم يفكر في إلغاء يوم السبت، ولم يكن في وسعه المغامرة بذلك، إذ لو فعل واستبدل يوماً آخر به لهجره أتباعه، ولهاجمه جمهور اليهود ورجموه.

يقول المؤرخ اليهودي يوسف فلافيوس ويوزبيوس وآخرون: إن جيمس ـ الأخ المزعوم لعيسى ـ كان (إيبيوناتيا Ibionate) متشدداً، وقد تزعم النصارى اليهود الذين تقيدوا بشريعة موسى وبالسبت بكل ما فيه من مظاهر، وثم تدريجياً استبدل بِهِ النصارى اليونان

obeikandl.com

(الهيلينيستيون) (يوم الرب) أي: يوم الأحد، ولكن الكنائس الشرقية ظلت تراعي يومي السبت والأحد معاً حتى القرن الرابع الميلادي.

فلو كان عيسى (سيداً ليوم السبت) لكان عليه أن يعدّل من قانونه القاسي أو يلغيه كلية، ولكنه لم يفعل، وقد فهم اليهود جيداً كلامه أن المخلّص المنتظر هو سيد يوم السبت، هذا هو السبب في سكوتهم، وهنا - كما في أماكن أخرى من الأناجيل - يوجد حذف متعمد في الأناجيل الثلاثة الأولى من العهد الجديد حيث حذفوا بعض مواعظ عيسى عن (ابن الإنسان) مما سبب الغموض والتناقض وسوء الفهم، وما لم نتخذ القرآن الكريم مرشداً ونعترفْ بمحمد على أنه النبي الذي هدفت إليه الكتب المقدسة فإن جميع المحاولات للوصول إلى الحقيقة أو إلى استنتاج معقول ستنتهي بالفشل.

قرأت مؤخراً مؤلفات العالم الفرنسي أرنست رينان عن (حياة المسيح والقديس بولس والدجال) وذهلت لكمية المراجع التي اعتمد المؤلف عليها حتى إنه ذكّرني بجيبون Gibbon وأمثاله، ومع ذلك ماذا كانت نتيجة أبحاثه وأبحاث غيره؟ لم تكن سوى صفر أو تحت الصفر، إنهم بمثل هذه الكتابات يشوهون المعتقدات ويسممونَ العواطف الدينية، ولو أنهم استرشدوا بروح القرآن لوجدوا أن محمداً هو المصداق الحرفي والواقعي للكتب المقدسة. إن المتدينين يريدون ديناً واقعياً وليس كلاماً نظرياً، يريدون ابن الإنسان القوي الذي يقضي على أعداء الله ويبرهن فعلاً أنه(سيد يوم السبت)

فيلغيه؛ لأن اليهود أساؤوا استعماله مثلما أساء النصارى استعمال عبارة (أبوّة الله)؛ وهذا ما فعله محمد بالضبط، وقد كررت مراراً أنه لا يمكن فهم كتب اليهود والنصارى المحرفة إلاّ عند تمحيص أقوالها الغامضة والمتناقضة في ضوء القرآن، إذ بوساطته فقط يمكن تمييز الحقيقي من المزيف، فمثلاً عندما نقرأ عن الرهبان الذينَ أحلوا السبت يُنسب إلى عيسى قوله: (أقول لكم هاهنا الشخص الذي هو أعظم من الهيكل) (متّى 6/12)، فلا أجد تفسيراً لعبارة (هاهنا) سوى أن تكون (سوف يكون هاهنا)؛ لأنه لو تجرأ عيسى أو أي نبي قبله فأعلن أنه أعظم من الهيكل لهاجمه اليهود فوراً بتهمة الكفر ما لم يكن هو (ابن الإنسان) الحقيقي الذي أُعطي السلطان والقوة كما كان رسول الله محمد.

وقد ألغى القرآن الكريم عطلة يوم السبت كما في الآية (9) من سورة الجمعة، وكان العرب قبلها يدعون يوم الجمعة (العروبة) ويقابلها في نسخة (البشيتا) السريانية كلمة (عَروبتا) المشتقة من الكلمة الآرامية (عَرَب) بمعنى غَرَبَ (من غروب الشمس)؛ لأنه بعد غروب الشمس يوم الجمعة يبدأ السبت الذي اقتبست قداسته من شريعة موسى، أما سبب اختيار الجمعة فذو مغزى مزدوج:

أولاً: في يوم الجمعة اكتملت عملية الخلق العظيمة لهذا الكون، وكان ذلك أول حدث يقطع السرمدية، ويبرز الزمان والمكان والمادة إلى حيز الوجود، فوجب إحياء ذكرى هذا الحدث المعجز وإضفاء القداسة عليه.

ثانياً: المؤمنون يتجمعون في هذا اليوم، فسمي الجمعة؛ لأنه يوم الجماعة، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴿٩﴾﴾ (سورة الجمعة: الآية9) أما بعد انتهاء صلاة الجمعة فلا شيء يمنع من استمرار المؤمنين في أعمالهم كالمعتاد.

جـ- سبق أن شرحنا عبارة (متّى 11/18) التي تنص على أن مهمة ابن الإنسان هي استرداد ما ضاع، أما تلك الأمور التي ضاعت والمفترض استردادها فهي على نوعين: دينية وقومية:

1- إعادة دين إبراهيم الصحيح بتنقيته من المعتقدات والانحرافات الدخيلة وإعادة طابعه العالمي وإعادة جميع الشعوب والقبائل التي انحدرت من سلالة إبراهيم إلى دين السلام (الإسلام) بالآرامية (ديناً شاماً)؛ لأن دين موسى كان ديناً قومياً خاصاً باليهود وكان عيسى المسيح يهودياً أيضاً، ولم يكن مطلوباً منه إنجاز مثل هذا العمل الضخم، فهو يقول: (لا تظنوا أني جئت لأنقض القانون والأنبياء) (متّى 5/17-19)، ومن ناحية أخرى كان لا بد من محو الوثنية والخرافات والشعوذة التي انتشرت بين العرب، وإعادة عقيدة التوحيد تحت راية (لا إله إلا الله، محمد رسول الله).

2 - توحيد الأمم المنحدرة من سلالة إبراهيم وتحريرها من الأفكار الفاسدة العنصرية التي أدخلوها في كتبهم المقدسة مثل

obeikandi.com

التعصب العنصري ضد غير اليهود، فاليهود يحتقرون الأبناء الآخرين لجدهم العظيم إبراهيم من سلالة إسماعيل والأدوميين Edomites وبقية القبائل الإبراهيمية، وقد استمر هذا التعصب والتعالي حتى عندما صار بنو إسرائيل أسوأ الوثنيين والكفرة، إن ما ورد في سفر التكوين من أنه بالإضافة لختان إبراهيم وإسماعيل فقد تم ختان 311 ثلاثمائة وأحد عشر من جنوده وعبيده الذكور، إن ذلك يعدّ حجة دامغة ضد تعصب اليهود تجاه الشعوب الأخرى من أبناء عمومتهم، إن مملكة داود لم تكد تغطي في زمنها مساحة ولايتين صغيرتين من ولايات الدولة العثمانية، وإن المخلّص الأخير (ابن داود) الذي ما زال اليهود ينتظرونه اليوم قد لا يكون قادراً على احتلال هاتين الولايتين، ناهيك عن أن المقصود من مجيئه كان القضاء على الإمبراطورية الرومانية التي سُحقت على يد محمد، فماذا يريدون غير ذلك؟!

لقد أسس محمد (ابن الإنسان المنتظر) مملكة السلام (الإسلام) التي دخل فيها طواعية أكثرية اليهود في شبه جزيرة العرب والشام والعراق وغيرها، كما أسس أخوّة شاملة نواتها أسرة إبراهيم، ومن أعضائها العرب والفرس والأتراك والأكراد والبربر والصين والزنج والجاويون والهنود والإنكليز... إلخ، فشكّلوا أمة واحدة (أمثا ـ دا ـ شلاما) بالسريانية أي: الأمّة الإسلامية.

3 – استرداد الأراضي الموعودة بما في ذلك أرض كنعان وجميع الأراضي من النيل إلى الفرات، وامتداد مملكة الله من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي، كل ذلك ما هو إلا تحقّق فعلي ومدهش لجميع النبوءات عن سيد الأنبياء والبشر.

obeikandl.com

الفصل الواحد والعشرون

ابن الإنسان بحسب الرؤى اليهودية

من الأبحاث السابقة تبين لنا أن لقب المسيح الذي كانوا يطلقونه على كل نبي وكاهن وملك ممسوح بالزيت إنما هو اسم علم يختص بخاتم الأنبياء والرسل فقط، وقد وصف المتصوفون وكتّاب أسفار الرؤى (ابن الإنسان) على أنه الرسول الذي سوف يأتي في الوقت المناسب؛ لينقذ القدس وبني إسرائيل من الوثنية والاضطهاد، وينشئ المملكة الدائمة لعباد الله المخلّصين، وقد رأى فيه المتصوفون المخلّص القوي ذا الإلهام والقوة والمجد، ولم يسبق لأي نبي أو متصوف قط أن ادعى أنه (ابن الإنسان) أو أنه سوف (يعود ثانية في اليوم الآخر؛ ليحكم بين الأحياء والأموات)، المجمع المسكوني في نيقية فقط (325ق م) هو الذي نسب ذلك الادعاء المزعوم إلى عيسى المسيح.

وقد تكرر استعمال هذا اللقب على لسان المبشرين الأوائل مما يدل على معرفتهم الأكيدة بالرؤى اليهودية Apocalypses، واعتقادهم الراسخ بمصداقيتها وقداستها، ومن البدهي أن الرؤى

التي حملت أسماء إدريس وموسى وباروخ وعزير قد كُتبت قبل الأناجيل بوقت طويل، ثم قام مؤلفو الأناجيل بعد ذلك باستعارة لقب (ابن الإنسان) من تلك الرؤى، مما يفسر تكرار ورود اللقب في الأناجيل الحالية.

ولا شك في أن عيسى المسيح كان يعلم أن (ابن الإنسان) شخصٌ غيره؛ لأنه كان يعلم تمام العلم طبيعة مهمّة ابن الإنسان والإنجازات المطلوب منه تحقيقها - حسب تنبؤات أصحاب الرؤى الذين كان عيسى يعدّهم من ذوي الإلهام، ولو أن عيسى اعتقد أنه (ابن لإنسان) حقّاً لوقع في تناقض ضخم وتوهّم أضخم، مما يؤدي بنا ـ والعياذ بالله ـ إلى نتيجة ليست في صالح نبي معصوم، وإن الطريقة الوحيدة لتبرئة المسيح من ذلك هي أن ننظر إليه كما وصفه وشرّفه القرآن، وعليه فإننا ننسب جميع الأقوال المتناقضة والمنسوبة إليه في الأناجيل إلى مؤلفي الأناجيل أنفسهم أو الذين حرّفوها بعدهم.

وقبل أن نستمر في دراسة موضوع ابن الإنسان كما صورته أسفار الرؤى اليهودية يجب أخذ الحقائق الآتية بعين الاعتبار:

أولاً : أن أسفار الرؤى ليست من ضمن الكتاب اليهودي المقدس وليست حتى من ضمن الكتب الأسطورية (الأبوكريفية) التي تسمى Canonical –Deutro من ضمن كتب العهد القديم.

ثانياً: أن مؤلفي تلك الأسفار غير معروفين على الرغم من أنها تحمل أسماء إدريس وموسى وباروخ وعزير، ومن الواضح أن مؤلفيها الحقيقيين كانوا على علم بالخراب النهائي للقدس وتشتّت اليهود تحت حكم الرومان، ويحتمل أن انتحال أسماء قدامى الأنبياء لهذه الأسفار سببه عواطف وتوجهات دينية معينة، وشبيه بذلك ما كتبه (أفلاطون) على لسان معلّمه (سقراط).

ثالثاً: ورد على لسان كبير الأحبار (بول هاجناور)[1] ما يأتي:

احتوت هذه الأسفار على أفكار جدلية غامضة غبية حاولت تفسير أسرار الطبيعة وأصل الإله وتصورات الخير والشر والعدالة والماضي والحاضر، ونسبت كل ذلك إلى الوحي على لسان الأنبياء من أمثال إدريس وموسى وباروخ وعزير، ومن الواضح أنها من نتائج عهود الكوارث اليهودية المؤلمة؛ وعليه لا يمكن فهمها أكثر مما يمكن فهم سفر الرؤيا الذي يحمل اسم القديس يوحنا.

رابعاً: لقد حرّف المسيحيون أسفار الرؤى حيث نجد في سفر إدريس أن (ابن الإنسان) يدعى أيضاً (ابن المرأة) وتارة يدعونه (ابن الله) مما يعدّ تحريفاً باتجاه نظرية الكنيسة

(1) Paul Haguenauer, Manuel de Litterature Juive, Nancy 1927

obeikandl.com

حول تجسد الإله؛ إذ يستحيل على يهودي أن يكتب أو يخطر على ذهنه عبارة (ابن الله).

خامساً: يلاحظ أن الاعتقاد بمجيء المخلّص المنتظر ليس إلا تطويراً متأخراً للنبوءات القديمة عن آخر الأنبياء والرسل الذي بشّر به يعقوب وأنبياء آخرون، ولم يرد الادعاء بأن هذا (المخلّص الأخير) سوف يأتي من نسل داود إلا في الكتب الأبوكريفية المشكوك بصحتها، وفي أسفار الرؤى اليهودية ومخطوطات الحاخاميين، صحيح أن هنالك تنبؤات أخرى بخصوص (ابن داود) حصلت بعد الأسر البابلي وبعد نفي القبائل العشر إلى بلاد الآشوريين حيث المفترض أن يأتي ابن داود كي يجمع شتات إسرائيل، ولكن هذه التنبؤات لم تتحقق إلا جزئياً وبشكل محدود جداً على زمن (زيروبابل)، وهو من نسلِ داود، ثم إنه بعد غزو الإسكندر المقدوني كانت تتكرر تلك النبوءات، وعلى الرغم من ادعاءات بعضهم فإن تلك النبوءات لم تتحقق في شخص يهوذا المكابي الذي حارب بنجاح ضئيل لا يكاد يذكر ضد أنطوخيوس إبيفانس أحد خلفاء الإسكندر (167ق.م)، وكان نجاحه مؤقتاً غير ذي قيمة.

وإن أسفار الرؤى التي تمتد رؤاها إلى حقبة ما بعد خراب القدس على يد الإمبراطور الروماني تيطوس (70م) تنبأت بأن (ابن الإنسان) سوف يظهر بسلطة عظيمة لدحر السلطة الرومانية

obeikandl.com

وأعداء إسرائيل الآخرين، وقد انقضت قرون عديدة من الزمن قبل هزيمة إمبراطور روما في القرن الخامس الميلادي بوساطة الإمبراطور التركي أتلا الوثني، ثم انهيار إمبراطورية بيزنطة على يد المسلم التركي السلطان محمد الفاتح في القرن الخامس عشر، ولكن السلطة الرومانية كانت قد انحدرت قبل ذلك بكثير من الأراضي الموعودة لإسماعيل على يد خاتم الأنبياء محمد المصطفى.

وهكذا لم يعد هنالك مبرر عند اليهود لانتظار مخلّص آخر، فلو كنت يهودياً متحمساً لراجعت هذا الأمل عن مجيء المخلّص المنتظر، وحتى لو ظهر (ابن داود) على تل صهيون، وادّعى أنه المخلّص المنتظر لكنت أول من يقول له: مهلاً، لقد تأخرت كثيراً، فلا تفسد التوازن في فلسطين، ولا تسفك الدماء؛ لأن أي نجاح قد تحققه لن يتعدّى النجاح الذي حققه أجدادك: داود، وزيروبابل، ويهودا المكابي. إن الفاتح اليهودي الكبير لم يكن داود، بل جاء قبله بكثير، وهو (يوشع بن نون)؛ إذ كان هو المسيح الأول الذي بدلاً من أن يحاول هداية القبائل الوثنية الكنعانية التي أبدت منتهى الكرم والاستقبال الطيب تجاه إبراهيم وإسحاق ويعقوب فإنه أعمل فيها المذابح دون شفقة ولا رحمة، لقد كان يوشع المذكور مسيح ذلك الزمان مثلما كان كل قاضٍ وملك يهودي خلال حوالي ثلاثة قرون يدعي أنه المسيح والمخلّص، لقد كانوا يتنبؤون بظهور مخلّص جديد

كلما حلت بهم كارثة كبرى، وكالعادة فإن الخلاص الذي يأتي بعد الكارثة دوماً محدود جداً وغير كافٍ.

أما النصارى الذين يدّعون أن عيسى هو ابن الإنسان فإنني أقول لهم: لو كان عيسى هو المخلّص المنتظر لبني إسرائيل لكان حرر اليهود من النير الروماني، سواء أصدّقه اليهود أم لم يصدّقوه، فالخلاص يأتي أولاً ثم العرفان بالجميل يأتي ثانياً، وليس العكس، لقد كان اليهود بحاجة لبطل يحررهم، ولم يكونوا بحاجة لنبي يأتي بالمعجزات والخوارق؛ فكل تاريخهم كان منسوجاً بالعجائب والمعجزات التي لم تزدهم إيماناً، بل زادتهم تمرداً وكفراً، لقد رفض اليهود عيسى المسيح لا لأنه لم يكن (ابن الإنسان) المذكور في الرؤى فقط أو لأنه هو المسيح أو لأنه لم يكن نبياً، فقد كانوا يعلمون جيداً أنه لم يكن (ابن الإنسان) وهو نفسه لم يدّع ذلك، وكانوا على علم بأنه نبي حقيقي، ولكنهم رفضوه؛ لأنه صرح بأن المخلّص المنتظر لن يكون ابناً لداود، ولكنه سيد له (متّى 22/44-46) (مرقص 12/35-37) (لوقا 20/41-44) وقد ورد في إنجيل برنابا على لسان عيسى أنه سوف يتم الوفاء بالعهد على يد (شايلوه) أي: رسول الله المنحدر من نسل إسماعيل، ولهذا السبب يصف التلموديون عيسى بأنه (بلعام الثاني) أي: النبي الذي تنبأ لمصلحة الوثنيين على حساب اليهود كما يدّعون، والواضح أن تقبل اليهود لعيسى أو رفضهم له لم يكن له علاقة بطبيعة رسالته، ولو كان هو

المخلّص الأخير لكان أخضع اليهود لسلطانه، وقهر السلطة الرومانية كما فعل محمد، وسوف أبين الآن أن (ابن الإنسان) المذكور في أسفار الرؤى لم يكن غير محمد المصطفى.

1 - إن الوصف الرائع الذي تضمنته رؤيا دانيال (دانيال/7) يجعل من المستحيل أن تنطبق أوصاف (البرناشا ـ ابن الإنسان) على أحد من أبطال المكابيين أو على عيسى المسيح، وإن الوحش الفظيع الذي قهره (ابن الإنسان) في رؤيا دانيال لا يمكن أن يكون خليفة الإسكندر أنطوخيوس إبيفانس ولا نيرون قيصر روما، لقد بلغ الشر ذروته في ذلك الوحش الفظيع؛ لأنه نطق بالكفر بالله تعالى بجعله ثلاثة آلهة بدلاً من واحد، وكذلك باضطهاده المؤمنين الذين ثبتوا على الوحدانية. إن الوحش لم يكن سوى قسطنطين الكبير الذي ادّعى النصرانية، ورعى المجمّع المسكوني الأول في نيقية عام 325م.

2 - تنبأ سفر إدريس ـ كما ذكرنا في فصل سابق ـ بظهور (ابن الإنسان) عندما تهاجم طيور جارحة ووحوش مفترسة قطيعاً صغيراً من الغنم يدافع عنه كبش كبير، وعند ظهور (ابن الإنسان) فإنه يهزم العدو ويطرد قوى الشر التي تمثلها الطيور الجارحة والوحوش الضارية، ثم يسلّم السيف (رمز السلطة والقوة) إلى القطيع الذي يرأسه بعد ذلك ثور أبيض له قرنان أسودان بدلاً من الكبش.

هذه الرؤيا رمزية بالطبع، فمنذ أيام يعقوب كان يرمز إلى الشعب المختار بقطيع الغنم، أما أحفاد عيص فقد وُصفوا بأنهم خنازير برية، وأما الوثنيون والكفار فهم الغربان والنسور والوحوش المفترسة، ومن الغريب أن معظم مفسري الكتاب اليهودي المقدس يقنعون أنفسهم أن هذه الرؤيا تشير إلى صراع المكابيين ضد جيوش أنطوخيوس إبيفانس (167ق م) الذي استمر حتى موت حنّا هوركانوس (110ق م)، ولكن هذا التفسير خاطئ تماماً، ومن شأنه أن يجعل الرؤيا غير ذات بال؛ إذ من غير المعقول أن يقوم إدريس ـ وهو نبي ما قبل الطوفان ـ بسرد تاريخ البشرية ابتداء من آدم، ثم ينتهي بحنّا هوركانوس أو بأخيه يهودا المكابي المرموز إليه بالثور الأبيض حسب زعم المفسرين، ثم تبقى بعد ذلك جماعة من المؤمنين (المرموز لها بقطيع الغنم) فريسة للرومان والنصارى والوثنيين، ذلك أن حروب المكابيين ونتائجها كانت تافهة، ولم تحسم الصراع بين الإيمان والكفر والوثنية، أضف إلى ذلك أنه لم يظهر بين المكابيين نبي يؤسس الحكم المسيحاني المسمّى في الأناجيل (مملكة الرب)، وعلاوة على ذلك فإن هذا التفسير لا يتمشى مع الشخصيات الرمزية لأحداث الرؤيا مثل قائد القطيع الذي يحمل في يده الصولجان والكبش والثور الأبيض.

أضف إلى ذلك أن الشرح النصراني لرؤيا إدريس لا يفسر مغزى التحول عن القدس إلى جهة أخرى شطر الجنوب أي: إلى بيت الله العتيق في مكة المكرمة الذي لم تتجه إليه الخراف المؤمنة فقط بل

obeikandl.com

ومختلف القبائل والشعوب الوثنية التي اعتنقت ديانة (ابن الإنسان) قاهر الوثنية والكفر.

والواقع أن رؤيا إدريس ربطت تسلسل الأحداث بصورة مجازية ابتداء من آدم وانتهاء بشخصية نبي مكة، وهنالك العديد من الحجج التي تثبت ذلك:

أ - أن قطيع الخراف بقسميه كان يرمز إلى أهل الكتاب يهوداً كانوا أو نصارى من المؤمنين بوحدانية الله من جهة، والذين أشركوا معه المسيح والروح القدس من جهة ثانية، وتقول الأناجيل: إنه في يوم القيامة سوف يتم فرز الغنم من الماعز أي: المؤمنين من الكفار (متّى 25/32-46) مما يؤكد هذا الرأي، أما الكبش الوارد في الرؤيا فيحتمل أنه يرمز إلى أريوس أو إلى بعض القادة الموحّدين من النصارى الصادقين أو إلى الحاخام الأكبر لليهود المؤمنين الذين واجهوا عدواً مشتركاً، وطالما عرّفنا قسطنطين بالقرن الشرير فإننا نستطيع تعريف أريوس بالكبش؛ لأنه ترأس مجموعة الموحدين في المجلس المسكوني في نيقية (325م)، ودافع بشدة عن الدين الصحيح ضد عقيدة التثليث الفظيعة، أما صفة (الشعب المختار) فقد زالت عن بني إسرائيل منذ كفروا برسالة عيسى المسيح، وبعدها صار المؤمنون برسالة المسيح الحقيقية وبرسالة خاتم الأنبياء هم الشعب المختار.

ب- لقد أنقذ (ابن الإنسان) قطيع الغنم من أعدائه، ثم أعطى للغنم الصولجان الذي يقال له في العبرية (شبت)، وهو شعار السلطة والتشريع، أما ذلك الصولجان الصغير الذي كان قد منحه الله إلى عشيرة يهودا فقد ذهب منهم، وأُعطي رسول الله (شايلوه) صولجاناً أكبر وأشد بطشاً عوضاً عنه (سفر التكوين 10/49)، ومن الرائع والمدهش حقاً تحقُّق الرؤيا عندما أصبح صولجان محمد شعاراً للسلطة الإسلامية في الجزيرة العربية وفي جميع الأراضي الموعودة التي كان فيها شعب الله محل اضطهاد قوى الوثنية: فارس واليونان والروم.

جـ- كانت الرؤى ترمز إلى جميع الأنبياء؛ فإلى زمن إسماعيل عليه السلام بالثيران البيضاء، ولكن بعد يعقوب صارت الكباش هي الرمز؛ لأن الديانة العالمية تقلصت عند اليهود، فجعلوها ديانة قومية يهودية، وهنا أيضاً تحققت رؤيا عجيبة؛ فالثيران البيضاء التي رمزت إلى كبار زعماء الديانة العالمية القديمة رمزت أيضاً إلى الخلفاء المسلمين مع فارق واحد تميزوا به؛ إذ كان يُرمز إليهم بثيران بيضاء ذات قرون سوداء كناية عن شعار السلطة المزدوجة الروحية والدنيوية، فالخليفة ذو السلطتين الروحية والدنيوية كان يتبعه المؤمنون من السلالات والشعوب واللغات كافة، وقد بينت الرؤيا بوضوح أن المرتدين والكفار سوف يدخلون في القطيع، وبالفعل دخل في الإسلام آلاف

اليهود والنصارى والصابئين وملايين من العرب والشعوب الوثنية الأخرى، ومن المفارقات الجديرة بالذكر أن الدماء التي أريقت في جميع المعارك التي خاضها النبي محمد وصحابته لم تكن شيئاً بالمقارنة مع الدم الذي أراقه يوشع في حروبه، كما أنه لم تسجل حادثة قسوة واحدة من قبل رسول الله الذي كان رؤوفاً رحيماً متسامحاً، ولهذا السبب كان وحده من بين البشر الذي رمزت إليه الرؤيا بأنه (ابن الإنسان) أي: كمثل الإنسان الأول آدم قبل خطيئته.

د- أسس (ابن الإنسان) مملكة السلام كما أسس العاصمة الروحية لها التي لم تعد القدس القديمة، ولكنها القدس الجديدة في الجنوب، وقد وصفت لنا الرؤيا بشكل عجيب كيف سترفع القدس من أرضها، وتزرع في بلاد جنوبية، فما أروع تلك المنجزات التي تمت عن طريق خاتم الأنبياء. إن القدس الجديدة لم تكن إلا مكة التي تقع جنوباً، وإن المرتفعين فيها وهما (المروة) و(الصفا) يحملان الاسمين نفسيهما (موريا) و(زيون) للمرتفعين الموجودين في القدس، ولهما المعنى نفسه، وهكذا صارت مكة القبلة الجديدة التي يتجه إليها المسلمون في صلاتهم وحجّهم، كما أنه تحقيقاً لرؤيا إدريس فقد أعاد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بناء المسجد الأقصى على جبل موريا (المروة) مكان مسجد سليمان، كل هذا يثبت بمنتهى

الروعة أن تلك الرؤيا كانت إلهاماً إلهياً عن الأحداث الإسلامية التي سوف تتحقق في المستقبل البعيد، فهل استطاعت روما أو بيزنطة أن تدّعي أنها هي القدس الجديدة؟ وهل يستطيع البابا أو أي بطريك من البطاركة أن يدّعي أنه هو الثور الأبيض ذو القرنين المرموز إليه في الرؤى؟

وهل تستطيع النصرانية أن تدعي بأنها مملكة السلام في الوقت الذي تجعل المسيح والروح القدس جوهراً واحداً متماثلاً مع الإله الأحد؟ قطعاً لا؛ لأن الإسلام هو مملكة السلام (الإسلام ـ شالوم).

هـ- في فصول الرؤيا التي تبحث موضوع مملكة السلام يُدعى المسيح (ابن الإنسان)، ولكن عند وصف يوم القيامة فهو يُدعى (ابن المرأة) و(ابن الله)، وقد جعلوه يشاطر الله - سبحانه وتعالى - إصدار الأحكام على عباده يوم الحساب، وقد أقر جمهور العلماء أن هذه الأفكار السخيفة المغالية ليست من أصل يهودي، ولكنها مخترعات وإضافات مسيحية.

و- أما أسفار الرؤى الأخرى المنسوبة إلى موسى وباروخ وعزير وJubilees و Oracula و Sibylliana فيجب دراستها بموضوعية؛ لأنه عندئذ فقط يمكن أن تُفهم ويثبت تحققها في محمد ودين الإسلام فقط.

obeikandl.com